

وما زال
القلب حيًا



دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 01003288596

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com @[yahoo.com](mailto:Dream.pen92@yahoo.com)

وما زال القلب حياً

شيماء فرح

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م

غلاف : محمد دريالة

التدقيق اللغوي: نشوء أبوالوفا

التصميم: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : 2019 / 22590

I.S.B.N: 978-977-6705-36-4

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار

وما زال القلب حيًا

رواية

شيماء فرح



إهداء....

إلى الرائعين الساكنين بين الأقواس.....
«إلى الراحل الباقي أول من علمني حروف الهجاء...ستظل
دائماً بقلبي أبي الغالي...»
«أمي كم عانيتي من أجل سعادتي...أدامك الله لتتيرى
حياتي...»
«زوجي الحبيب (هشام الأبيض) دعمتني وساندتي وتحملت
الكثير من أجلنا جميعا...»
«صديقاتي الغاليات (مروة نصار، ألاء الشناوي،
ورده، حنان، ياسمين، مروة، علا) أرهقتكم كثيراً حتى
يكتمل عملي... أدام الله جمعنا هذه...»
«أمي الروحيه (أميرة عفيفي) كثيرا ما دعمتني وحفزتني
لأستكمل مشواري...»
«صديقتي الصدوقه (لبنى ميرزا) بدونك لم يكن الحلم
ليكتمل...»
«متابعيني الأعزاء شكرا لثقتكم ودعمكم الدائم لي...»
«شكرو وتقدير خاص... لنشوة أبو الوفا...»
«شكر وتقدير خاص للمصمم المبدع...مجدى عزمى»
شيماء فرح

الفصل الأول

صرخات متقطعة انطلقت من بين شفتي تلك الصغيرة تصحبها
آهات تدل على شدة تألمها ظلت تتلوى بجسدها الضئيل تحت
جسد ذلك الوحش المفترس..

لا يصح أن نصفه بالإنسان فأشرس الحيوانات لها مشاعر،
أما ذلك المتدني أخلاقيا وإنسانيا لم يهتز قلبه لثانية بالرغم من
محاولاتها الواهية المستميتة، للدفاع عن نفسها من براثن ذلك
الذئب البشري..

بكت الصغيرة صارخة بأعلى صوتها محاولة الدفاع عن
شرفها الذي يحاول انتهاكه، ظلت تصرخ وتستحلفه بالله أن
يتركها:

ـ بالله عليك أنا زي أختك، ده أنا عيلة والله، والله عيله أنا
شكلي هو إيلي كبير.

وما كان منه غير أن صفعها صائحا:

ـ بس يابت ماتصدعنيش إخرسي خالص ما فيش حد
هينجداك مني.

قالها وهو متأكد من حديثه فها هو معها بسيارته المعدة
لنقل الركاب بالأجرة.

نعم هو سائق وهي فتاة انتهت من درسها وقررت أن تستقل
سيارة للعودة لمنزلها، لم تقترف أي ذنب حتى تعاقب بأبشع

الطرق وتنتهك خصوصيتها وجسدها..

أما هو فاستغل ذلك الهدوء السائد بالطريق ما بين المنطقة مقر درسها وما بين منزلها والتي يعرف عنها ازدحامها صيفا وافتقارها للمارة شتاءً ، وانحرف بسيارته لأحد الشوارع الجانبية معللاً أنه سيعبئ خزان سيارته بالوقود لم تنتبه الفتاة وبقيت بالسيارة وكأنه القدر معانداً لطموحها وبرائتها.

علت صرخاتها وأشتدت آناتها حتى خرجت صرخة مدوية معلنة عن فقدانها عذريتها، معيدة له وعيه الذي فقدته من كثرة تناول الأقراص المخدرة محدثاً نفسه:

— أنا إيه إيلي عملته ده البت باين ماتت ، أعمل إيه ، أرميها هنا وأمشى.

لطم وجهه بكفيه الغليظتين وهو يرمقها بعيناه وهي فاقده للوعي لم يتحرك لها جفن ، عاد لوعيه لكن بعد فوات الأوان.
تمر ذكرياته أمامه وكأنها شريط سينمائي...

حينما كان الطالب المتفوق الذي التحق بالجامعة محملاً بآماله العريضة في الوصول لمركز متميز بين أقرانه ، إلى أن تخرج ولم يجد عملاً ، فاحتل مقاعد المقاهي فترات طويلة حتى حامت حوله تلك الرفقة من أصدقاء السوء ، البلطجية ، مروجي جميع أنواع المخدرات و أحاطته متمكنة منه لتجره للوحد.....

تذكر أول مرة تناول بها تلك الأقراص ، وكيف أقنعه صديقه بها ، كيف أوهمه أنها ستنسيه كل أوجاعه ، ستجعله يحلق بالسما ليلمس نجومها ، ستنسيه اسم حبيبته التي تركته

من أجل افتقاره للمال و ضيق ذات الحال.

لم يخرجه من شروده غير أصوات الهمهمات المعلنه عن استيقاظها وما كان منه إلا أن دفعها خارج سيارته ملقيا بجسدها فوق الأرض الرملية وفر هارباً من فعلته المشينة.

ارتجف جسدها الشبه عاري فقد مزق جميع ملابسها وجردها من حجابها كما تجرد من آدميته ، رمشت جفونها ، أصبح عقلها ما بين الوعي واللاوعي ، الآن فقط شعرت بآلام جسدها ، استعادت ذاكرتها الدقائق السابقة ، امتدت يداها تلامس قدميها لتتزلق فى دمائها وما أن فتحت عينيها حتى رأت مصيبتها متجسدة فى خيط دماء على أصابعها .. ويا الله... يا لها من كارثة.. كيف ستواجه والدها ذو الطباع الحادة؟؟ كيف ستروي له ما حدث؟؟، نظرت بعينيها للسماء المظلمة على جسدها داعية الله أن تجد من ينقذها وليكون مايكون بعدها. مرت الدقائق عليها كالدهر ولم يمر بجوارها ولا حتى قطرة.. فهل سيجدها أحد؟....

حاولت مراراً وتكراراً أن ترفع جسدها من على الأرض ولم تستطع حتى الإعتدال من رقدتها استسلمت لما هى عليه وسلمت أمرها لرحمة الخالق عز وجل.....

ولم يخذلها من خلقها وسواها ، وأرسل إليها بتلك السيدة الشابة المارة بسيارتها ذاهبة إلى شاليه المصيف الخاص بعائلتها والذي تتقدمه ومحتوياته كل شهر تقريبا للاطمئنان ، لفت انتباهها ذلك الجسد الأنثوي الملقى جانبا ترددت كثيرا أن

توقف سيارتها حتى لا تتحمل المسؤولية ربما تكون قتيلة ولكن حينما اقتربت بسيارتها أطفأت المحرك سمعت تلك الأنات الضعيفة الصادرة من الفتاة فهزولت تجاهها تهز جسدها وهي مصدومة من بشاعة منظرها والجروح الظاهرة بأنحاء جسدها صرخت بأعلى صوتها:

— مافيش حد يلحقنا البنت هتمووووووت.

ظلت مستمرة فى محاولة رفع جسدها ولكنها لم تستطع، فمهما كان هى امرأة والأمر يحتاج لقوة رجل، وقفت مستقلة سيارتها ذاهبة إلى الشاليه الواقع على بعد مسافة قليلة، أيقظت الحارس الخاص به طالبة مساعدته:

— عم سعد تعالى بسرعه معايا.

رد مضطرباً متوجساً خيفة من صوتها:

— فى حاجه حصلت يا ست رغد.

رغد وهى تدير المحرك مرة أخرى:

— تعالى اركب بس وأفهمك فى الطريق.

استقل سعد الكرسى المجاور لها وهو يردد:

— فهمينى حد عملك حاجة ؟ انتي خبطتي حد بالعريية ؟

وما أن ذكر لها سعد تلك الكلمات حتى انتبهت لما سيتهمها به الجميع، ولكن بداخلها نزعة أمومية تحثها ألا تترك الفتاة فهي بعمر أولادها، فتحدثت لسعد بلهجة أمرة حتى لا يتخلى عن مساعدتها:

— اسمع ياسعد فى بنت لقيتها فى الشارع إالى جاي ده، إنت

كل إلهي عليك تنقلها في عرييتي ومالكش دعوة بأي حاجة.
لم تكد تنهي كلماتها حتى فزع سعد من منظر الفتاة حينما
وصلت السيارة بجوارها صائحا:

— دى ميتة ياست.. لا.... أنا هاسيب الشغل ولا إني اتسجن.

رغد بغضب:

— البنت عايشة وفيها نفس دي مضروبة بس.

سعد مستفهما:

— انتي خبطيها؟

رغد وهي تشير إلى الفتاة:

— ده منظر واحدة مخبوضة! إسمع كلامي، أنت أنقلها
العربية وامشي وأنا هاوصلها مستشفى.

سعد وهو يقترب من الفتاة واضعا يده تحت رأسها واليد
الأخرى أسفل ركبتيها:

— دى حد معتدي عليها يامدام ربنا يستر على ولايانا.

رغد بحزن:

— استرها يارب، دخلها يا سعد وأنا هتصرف.

وما كان من سعد سوى تنفيذ الطلب فوضعها بالسيارة عائدا
لعمله تاركا إياها لربة عمله واثقا بقدرتها على التصرف.

استقلت رغد سيارتها بطريق العودة من منطقة العجمى غرب
الإسكندرية إلى أقرب مشفى مهاتفة زوجها المستشار إيهاب
رضوان حتى يعينها بهذا الموقف فدائما كان العون والسند ما

أن رأى إيهاب اسمها على شاشة هاتفه حتى بادر قائلاً:
– سلام عليكم، الجميل رجع وإلا لسة فى الشاليه.
أجابته رغد بصوت يملؤه الاضطراب:
– وعليكم السلام.. إيهاب أنا محتجالك أوي.
فزع إيهاب من نبرة صوت زوجته فلقد عهد لها قوية حازمة
فأسرع بالرد:

– خير يارغد إنتي فين.
جاءته الاجابة ودموعها تنهمر على وجنتيها:
– أنا راجعة من العجمي.. وقصت له ما حدث.
رد إيهاب محاولاً ضبط انفعالاته فهو يعلم جيداً أن زوجته لن
تراجع عن مساعدة أي شخص يحتاجها:
– تمام يا رغد أقرب مستشفى ليكي هتكون فى الدخيلة
اطلعي على هناك وأنا هحصلك حالا.
استمعت رغد لكلمات زوجها متجهة بسيارتها كما أبلغها،
وصلت أمام المستشفى.. طلبت سرير لنقل المرضى، وما أن وصلت
إلى غرفة الطوارئ إلا وخلفها زوجها فلحسن حظها كان بموقع
عمله بمبنى نيابات الدخيلة قريباً من المستشفى



أما بهذا الحي الشعبي وبداخل إحدى مبانيه السكنية ارتفع
صوت حاد، لا يعرف التهاون صعيدى الأصل زاجراً زوجته:
– شوفتى بنتك، كل ده فى الدرس؟! انتوا بتخبوا عليا

كل مرة إنها بتتأخر، لكن ربنا كشفكم ورجعت أنا النهارده
بدري عشان أكشفكم.

نفت الأم المسكينة عن نفسها وابنتها تلك التهمة البشعة
بنظر زوجها:

– والله العظيم أبدا، ده أنا مش بخبي عنك الهوا، والبت
والله عمرها ما أتاخرت، جايز يكون المدرس آخرهم وإلا
المواصلات، دى جاية من أبو يوسف برده.

رد غير مقتنع بحديثها:

– وايه إللي يوديتها درس بعيد كده ؟ إيه مافيش مدرسين
قريبين من البيت ؟!

الأم محاولة تهدئته:

– والله يا حاج ده المكان الوحيد إللي كان فاضي، إنت
عارف إن الثانوية العامة دى بيحجزولها قبلها بشهور..

رد غاضباً:

– المهم هاتيلي رقم حد من صحباتها أكلهمم الوقت بيتأخر
والدنيا ضلمت.

هرعت الأم إلى غرفة بناتها منادية ابنتها الكبرى تسألها عن
مطلب أبيها:

– هبة، يا هبة شوفي يا بنتي أرقام تليفونات أصحاب أختك،
أحسن أبوكى قالب البيت بره والله تيجى بس مقصوفة الرقبة
دى وأنا هكسرلها عضمها.

ردت هبة قلقة و غاضبة من موقف والدتها:

— إيه يا ماما تكسريها ليه؟ هي طول عمرها ملتزمة ، عمرها ما إتاخرت ، أكيد فى حاجة ، ده بدل ماتقولي ربنا يسترها عليها .

نهرتها الأم :

— إنتى هتدينى درس ، يالا بسرعة هاتي الأرقام ، تليفون أختك مقفول ، أبوكى اتصل عليه كتير وكل شوية الست تقول الهاتف مغلق أو غير متاح .

حركت هبة رأسها إشفافاً على قلة حيلة والدتها وضعف شخصيتها أمام والدهم فهي الزوجة الريفية التي لم تكمل تعليمها ومن البداية اختارتها والدته له لقلة حيلتها وحتى يستطيع تطويعها على حسب طباعه .

عبثت الأخت الكبرى بهاتفها حتى وصلت لقائمة البيانات وأمسكت بقلم وورقة ، خطت بها أرقام صديقات أختها واسمائهن ، ثم مدت يدها حاملة الورقة معطية إياها لوالدتها .

خرجت الأم مسرعة حيث يجلس زوجها يطلق العنان للأدخنة المتصاعدة من لفافة التبغ بفمه تاركاً الشيطان يتلاعب بأفكاره ويتوقع من ابنته ما ليس بها .

لحققتها ابنتها منتظرة ماسيفعله والدهم ، ولم يخرجهم من هذا الصمت غير اهتزاز هاتفها بيدها معلناً وصول اتصال من رقم غير مسجل.....

انتفض قلبها وكأنه يشعر بماستتضمنه تلك المحادثة ضغطت زر الرد رافعة هاتفها إلى أذنها بأيدي مرتعشة مرددة :

– السلام عليكم.

رد عليها الطرف الآخر السلام مكملا:

– أنا المستشار إيهاب رضوان أختك اديتنا رقمك هي في
مستشفى.....

هبة بفزع:

– اختي ما.....

ما أن سمع والدهم ذكر ابنته بشئ حتى جذب الهاتف من
ابنته مكملا الحديث:

– أيوة إنت مين ؟وبنتى فين؟

رد إيهاب في محاولة منه لبث الطمأنينة في قلب الوالد:

– إهدى يا أستاذ ،بنتك هنا في المستشفى، وتقدر تيجى حالا
تشوفها.

وأبلغه بمكان المشفى ورقم الغرفة.

رد الأب بلهفة وبدخله تشتعل براكين الفضول حول سبب
وجود ابنته بالمشفى:

– أنا جاي علطول.

لم يرد إيهاب إخباره بما حدث لابنته هاتفيا وإفزاعه وفضل أن
يعلم بعد رؤيتها، ربما حالها الآن يهون عليه مصيبته فيما حدث..

ألقي الوالد الهاتف لابنته والتي بالكاد إلتقطته قبل أن
يصطدم بالأرض وأسرع يرتدى ملابسه لتوقفه زوجته ببكائها
ونحيبها مصاحبا لحديثها:

– خدني معاك يا حاج أطمئن على بنتي أنا مش هقدر أستنى
هنا لحد ماترجعوا، وإلا تكون بنتي ماتت والراجل ده مش راضي
يقول.

أشفق الزوج على حالها وتحدث بلهجة أمره:

– البسي عبايتك بسرعة وإلا همشي وأسيبك.

ثم أكمل حديثه لابنته:

– وانتى اتصلي بأخوكي بسرعة، قوليله يسيب شغله
ويحصلني على المستشفى.

نفذت هبة ما قاله والدها وأسرعت بمهاتفة أخيها فهي على
يقين أن أخيها الوحيد القادر على ردع والده عن غضبه وسوء
تصرفه، فهو الابن الأكبر والولد الوحيد ودائماً والدهم يفتخر
به ويتباهى برجلته في المواقف وثقافته ورجاحة عقله.

وصدق حقاً في هذا فهو كان لهم دائماً نعم الأخ والسند
ولوالداه خير عون، بعكس والده العصبي الذي لا يتفاهم ورأيه
نافذ دائماً.

وماهي إلا ثواني وأجابها أخيها:

– هوبة حبيبتي، بتكلميني في الشغل ليه؟ يا ترى عاوزة إيه
اجيبهولك وأنا راجع؟

هبة ببكاء:

– محمد بابا بيقولك حصله على مستشفى.....

محمد بفزع:

– ليه ياهبة بابا تعب، وإلا ماما رجعتها أزمة القلب.

هبة بخوف على أختها :

– ماما وبابا كويسين، سما هي اللي في المستشفى.

ابتلع كلماتها بألم يعتصر كيانه فكيف له ألا يتذكرها
وهي لم تهاتفه كعادتها حينما تنتهي من مدرستها ودروسها
لتطمئنه، كيف إنشغل بعمله عن صغيرته.....

سمائه....نعم هي سمائه وجنته....

هي من ولدت على يده، هي من أعتنى بها مع أخته هبة، ويعتبرها
إبنته وليست أخته الصغرى أعاده صوت أخته لواقعه وهي تردد :

– محمد...محمد....محمد إنت سامعني ؟!!

رد محاولا تمالك رباطة جأشه :

– أيوة يا حبيبتي أنا معاك، طيب انتي متعرفيش جرالها
إيه ؟

ردت نافية :

– لأ اللي كلمنا ماقالاش حاجة، بالله عليك تلحقها إنت عارف
بابا كويس وأكيد هتكون محتجالك.

محمد بأسى على حال أخته :

– حاضر ياهبة ما تقلقيش أنا قفلت مكتبي وهاتحرك
حالا، هبة خليك أنتي في البيت علشان لو احتجنا حاجة
أكلمك تجيبها.

ردت باستسلام :

— حاضر، ربنا يسترها ويعديها على خير.

أبلغت هبة والدها أن أخيها أغلق عمله وأنه سيلحقه بالمشفى، خرج كل من الوالدين مسرعين إلى أقرب سيارة بالأجرة تقلهم حيث مكان تواجد المشفى.

وبنفس الوقت كان محمد أيضاً بطريق آخر لاحقاً بوالداه. وصلاً أخيراً إلى مكتب الاستقبال فقام الوالد بسؤال الموظف المسؤول:

— أنا بنتي جت عندكم ومش عارف هي حادثة وإلا إيه اسمها سماء إبراهيم الخولي.

نظر الموظف بالأوراق الموضوعية أمامه وبحث بكشف المتوافدين للمشفى اليوم ثم رفع نظره لوالدها مجيباً سؤاله:

— أيوة يا أستاذ بنتك هتلاقيها في العناية المركزة بالدور الثاني على إيدك اليمين.



الفصل الثاني

خرج الأب مهرولا حينما استمع لكلماته وعلم أن مصابه
فى ابنته ليس بهين، أما الأم فتماسكت بالكاد وقد إرتفعت
نبضات قلبها كطرق الطبول وزادت رجفة جسدها مصاحبة
لبكائها ونحيبها وهي تردد:

– اللهم أجرني فى مصيبتى، اللهم أجرني فى مصيبتى.

صعدا السلم ولم ينتبها لوجود المصعد الكهربائي بحثا عن
الرواق الموجود به غرفة العناية المركزة وحين وصولهم وجدا
من ينادى بإسم الأب:

– أستاذ إبراهيم...أستاذ إبراهيم.

التفت له الأب، والأم مازالت تبحث بعينها، وهي تكاد لا
ترى أمامها من شدة البكاء وتجمع الدموع بعيناها.

إقترب الأب من هذا الرجل الوقور الملامح مهندهم الهيئة
والملبس الذي يبدو عليه الاحترام والهيبة متحدثا:

– نعم حضرتك بتنادينى أنا، إنت إالى اتصلت بينا ؟.

إيهاب وهو يمد يده ليصافحه ويربت بيده الأخرى على كتفه:

– أيوة يا أستاذ إبراهيم أنا إالى كلمتك، تعالى شوف بنتك
ووالدتها تشوفها، هي حالتها دلوقتي أحسن وإن شاء الله تكون
بخير.

إصطحبهم إيهاب إلى نافذة من الزجاج تطل على السرير الراقدة به إبتهم فاقدة للوعى إثر الحقن المهدئة للأعصاب التي اضطر الطبيب لإعطائها إياها حال تذكرها للحادثة حتى تهدأ ثورتها.

حين نظروا من النافذة الزجاجية وشاهدوا إبتهم تعالت صيحات الأب وهو يجذب يد إيهاب:

– أنت خبطتها بعريبتك وإلا عملت إيه فى بنتي، رد عليا أنا مش هسيبك.

إستمعت لتلك الصيحات السيدة رغد التي وجدتها ونقلتها إلى المشفى فأسرعت لتقف حائلاً بينهما فهي من زجت بزوجها فى مثل هذا الموقف وحاولت جاهدة تهدئة إبراهيم ولكنه لم يهدأ وظل يصيح:

– أنا هطلبك النيابة، أنا مش هسيب حق بنتي.

لتصرخ به رغد بحزم:

– بس، إسكت شوية، إفهم الموقف، إنت بتتكلم بس مش بتسمع بيقولك إيه، وأنت مكمل فى غلطك، ده جوزى المستشار إيهاب.

التفت الأب جاحظ العينين الى زوجها الذي قال:

– مش أنا ومقدر جداً موقفك وخوفك على بنتك.

أكملت رغد:

– أنا اللي.....لم تكمل كلماتها..

حتى قاطعها إبراهيم مرة أخرى صائحا:

– يبقى انتي اللي خبطتيها ، حرام عليكم ، اتعلموا السواقه الأول وإلا علشان ربنا عاطيكم شوية فلوس هتدوسوا بيها على الناس.

هزت رغد رأسها بأسف على عقل هذا الرجل وتسرعه في الإستنتاج مما جعلها لا تستطيع مجادلته وعلمت أن مهمتهم صعبة في إخباره ما حدث لابنته لكنها إستجمعت شجاعته وصاحت به :
– إسكت بقولك ، بنتك مافيش حد خبطها بعرييته ، بنتك لما لقيتها كانت مرمية فى الشارع مغتصبة ، فاهم يعني إيه مغتصبة ، رماها الكلب بعد ما هتك عرضها.

نزلت كلماتها كالصاعقة على الأب ، فيما إنتهت الأم التي ما زالت واقفة أمام الزجاج تنظر لابنتها ولم تحرك ساكنا أثناء الخلاف والمشادة بينهم وما حركها غير تلك الكلمة (مغتصبة)....

ابنتها صغيرتها تم الاعتداء عليها ، انتهك حيوان براءتها ، تحركت بجسدها بتناقل وكأنها إنسان آلي يعمل بمحرك ، جسد بلا روح ، وجذبت رغد من ذراعها محدثة إياها بنحيب وبكاء :

– انتي بتقولي إيه !!؟ ، بنت مين اللى إغتصبوها ، ومين إالى عمل فيها كده ، ردى عليا فهميني قولي إنك دوستيها بالعربية أرحم ليها وليا ، وأنا هسيبك تمشي ، بلاش تقولي إن بنتي مبقتش بنت ، أرجوكي ما تقوليش كدة.

كاد جسد الأم يتهاوى من شدة مصابها في إبنتها وهي تتمسك بجسد رغد تهزها بعنف وهي تتحب بشدة مكررة

كلماتها :

– يعني إيه؟ بنتى ضاعت..... شرفها ضاع.... لا أرجوكي قولي حاجة ثانية.

وانحنت تقبل يد رغد تتوسلها ودموعها تنهمر :

– أرجوكي قولي إنك دوستيها بالعربية غصب عنك....والله هترجى أبوها وأخليه يسبك تمشي... بس متقوليش كدة على بنتي دي حافظة كتاب الله.... دى متفوقة في دراستها.... انتي ما عندكيش أولاد.. اعتبريها بنتك إرحميها.

تهذي الأم بكلماتها أملاً أن تعترف رغد بذنب لم تقترفه ترجوها ولا تعلم أن بدونها لكانت ابنتها فى عداد الأموات.

بكت رغد لما تشعر به الأم وسحبت يدها منها وهي تحيط بها بذراعيها وتعانقها مربتة على جسدها المرتجف كي تهدأ ولكن..... كيف لأم في مصابها أن تهدأ بعد الآن.....لقد إنتهت حياة ابنتها قبل أن تبدأ.....

نظر كلا من رغد وإيهاب لذلك الأب المكلوم على ابنته فهل هذا هو نفسه من كان يصيح بهم..

لقد خارت قواه وجلس على الأرضية الرخامية للمشفى شاردًا باللاشيئ أمامه مرددا :

– لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

لم يستطع أيًا من إيهاب أو زوجته الحديث فأتجه لجواره جالسا القرفصاء وظل يربت على ظهره عليه ينتبه له ولكن لا مجيب، أما الأم فأجلستها رغد وما زالت محتضنة لها وهي تبكي بانهايار

على أحد مقاعد المشفى المخصصة للزائرين.

ظل الوضع على ما هو عليه حتى وصل محمد وكسر الصمت
الذي عم المكان متسائلا:
_ مالها سما حصلها إيه؟

مدت الأم يدها إلى ابنها علها تجد حل بيده ينقذهم مما هم
فيه، فأسرع يتمسك بيديها ويحتضنها فإنكمشت في صدره
وكأنها تختفى عن الكون بأكمله، وهى تبكي وجسدها
يرتجف ضمها ولدها وأطبق عليها كالطفل بحضن أبيه، ولكنه
أعاد سؤاله و الخوف على أخته يعصف به كإعصار استوائي:
_ إهدي يا أمي وطمئيني على سما.....هي أختي ماتت وإلا
إيه؟..... فهميني.

ثم نظر إلى والده وأعاد نظره إلى أمه قائلا:
_ حد يرد عليا.

حركت الأم رأسها يمينا ويسارا تنفي موت ابنتها، ولكن
إجابتها كانت أبشع من الموت ذاته:
_ لا يا محمد..... سما اغتصبوها يا ابني....أختك ضاعت يا
محمد.

رفع محمد رأسه وقد علت الصدمة وجهه، ثم ما لبث أن
إحتدت ملامحه ولسانه يهمس:
_ اللهم أجرنى في مصيبتى.

وما لبث أن رفع صوته غاضبا هاتفا بحسم:

— واللّه فى سماه لهشوف الحيوان اللي عمل فيها كدة وأنتم
لشرفها منه ، مهما استخبي هلقاه وهاقتله.

ثم ضم أمه لصدرة بقوة مؤكداً :

— واللّه هاوصله وأقتله ، شرف أختي مش هيزيع وقصاده
عمره ، وأختي أنا كفيل أحميها وأخرجها من اللي هي فيه.

كانت تلك الكلمات كالمنبه لوالده فها هو خسر شرف
ابنته والآن سيخسر ولده وحياته أيضاً ، لابد أن يقف ، آن الأوان
أن يفيق من صدمته ويواجه مصابه.

حاول استجماع قوته وإعادة الاتزان لجسده مستندا بالجدران
خلفه ، لاحظّه إيهاب فمد له يد العون رافعا إياه فأسرع عليه ولده
يسنده ، محيطاً جسده بين يداه القويتين بعد أن أراح أمه بجوار
رغد مرة أخرى متمتما بشفتاه :

— حق أختي هاجيبه ، ماتتهزش ولا تقلق ، إنت خلفت راجل.
لم تكن كلماته لتسعد والده بل ازداد فزعه وألمه واقتضبت
ملامحه وازداد عمره ما بين لحظات لأضعاف.
تدخل إيهاب محاولاً تهدئة تلك العائلة المكشوفة بحكمته
المعهودة :

— اهدى يا ابنى وبلاش تتهور وتضيع مستقبلك.

جاءت كلماته وكأنها طوق النجاة لوالدهم فأمسك بيد ولده
يحثه أن يستمع لتلك الكلمات الرزينة ولكن تبدل حاله فور
تكملة إيهاب لحديثه قائلاً :

— إنت هتأخذ حق أختك لكن بالقانون ، المستشفى بلغت

الشرطة والنيابة زمانها فى الطريق لهننا ومتقلقوش من حاجة ، ربنا معاكم وأنا هاساعدكم بكل اللي أقدر عليه.

نظر له محمد نظرة إمتنان ، أما والدهم فلقد أخرج كلماته دون اختيارها منطلقا بالصياح مرة أخرى ولكنه صياح بدون قوة ، صياح خائف :

_ لا يابيه متشكرين إحنا مش عاوزين منك حاجة كتر خيرك لحد كدة ، إنت والست بتاعتك جميلكم على راسنا ، لكن لحد كده كفاية ، مش عاوزين حق بنتنا ، ولا عاوزين نعمل محضر ، وأنا هاأخذ بنتي وأمشي نروح بيتنا ، و نكفي على الخبر ماجور.

لم يوافقوه إبنه الرأى فتحدث مخالفا له :

_ إزاي الكلام ده يا بابا؟! بيت ايه إللي نأخذها عليه وأختي بين الحياة والموت ، إزاي نسيب حقها؟! علشان مين وعلشان ايه؟! خايف من كلام الناس !!! خلاص يا حاج يكون فى علمك هنخرج وهجيب حقها برده.

كل هذا الحديث ورغد تجلس مستمعة لا تريد التدخل فهى شعرت بمدى ألمهم وخوفهم من أحاديث البشر اللا متناهية عن إبنتهم وكيف ستكون سمعتها وربما يتهمها معظم المحيطين بهم بسوء الأخلاق أو إنها كانت على علاقة بذلك الرجل ، تفهمت وضعهم جيدا ولكن آن الأوان أن تتحدث فهناك مصير شاب آخر ربما ينتهى بهووره ، ومصير طفلة ملقاه فاقدة للوعي تحتاج الكثير حتى تعود حالتها النفسية لما كانت عليه ولن

تعود أبدا فهي الوحيدة التى رأتها، وتعرف كم كان موقفها أبشع مما يتصوره أحد، فقررت التحدث إليهم جميعا للوصول لحل وسط يرضي هذه العائلة، أسندت جسد والدتها سما على الجدار خلفها وقفت متجهة حيث يقف زوجها بجوار ابراهيم وولده مستمدة منه القوة لتبدأ حديثها:

— إستعيزوا بالله من الشيطان الرجيم يا جماعة الأول.

تمتم الجميع مستعيزا بالله، ثم أكملت:

— مينفعش يا أستاذ محمد تقتله وتضيع حياتك ومستقبلك، أختك محتجالك أكثر من الأول أنت ماشوفتهاش وقت مالمقيتها كان حالها إزاي، دي كانت واحدة فقدت الأمل وغمضت عيونها مستتية أجلها، دلوقتي ربنا نجاها وجعلني سبب إنى ألحقها وأجيبها على هنا يسعفوها، دي في حد ذاتها نعمة من ربنا المفروض نحمده عليها إنها لسة عايشة، زيدوا عليها إن اللحظات إللي مرت بيبها ماكنتش سهلة، وأكيد هتحتاج لعلاج نفسي، إنت عارف وقت ماجبت أختك على هنا المستشفى كانت رافضة تستقبلها، ولولا تدخل إيهاب وإرغامه لهم إنهم يقبلوها كان زمني لسة مستتية دور فى أى مستشفى حكومي علشان دكتور يشوفها.

قاطع حديثها إبراهيم مستفهما كيف أبلغتهم بهاتف أختها.

فردت عليه رغد متذكرا تلك الساعات السابقة.....

ظلت الفتاة تهذي بين الوعي واللاوعي والأطباء مجتمعون حولها:

— هبة الحقيني ياهبة ، ناديلي محمد ، ياااااااا محمد إبعده عني
أنا بموت بتخقق اااااااااا.

صفعها الطبيب عدة صفعات على وجنتيها حتى يعيد لها وعيها
كاملا وحينما انتبعت إلى ما حولها :
— أنا هنا فين؟ انتوا مين ؟.

ارتفع صدرها وهبط إثر ازدياد تنفسها وخوفها :
— انتوا مين ؟.

ردت رغد تحاول طمأنتها :
— أنا معاكي حبيبتى ماتخافيش ، لقيتك في الشارع ، وجبتك
هنا ، أنتى كويسة ماتخافيش ، انتي في مستشفى....
سألها إيهاب :

— انتي اسمك إيه؟.

ردت الفتاة بتشتت :

— سما إبراهيم الخولى

أكمل إيهاب حديثه :

— طيب يا سما تقدرى تقولي عنوان أهلك أو تليفونهم.

شردت قليلا ثم حاولت أن تصل لجيب صغير بملابسها وحينما
وجدته سليما كأنها وجدت كنزا.

سألها رغد :

— إنتي بتدوري على حاجة ؟! أساعدك.

ردت بسرعة :

— هتلاقى هنا ورقة أختي بتحطها دايمًا فى جيبى علشان لو
جرالى حاجة.

وجدت رغد الورقة مدون بها إسم سماء ابراهيم الخولى
وعنوان المنزل ورقم هاتف محمول مدت الورقة لزوجها وحادثهم.
أثناء مهاذفة إيهاب لعائلة سما تذكرت الصغيرة ما حدث
لها وظلت تصرخ بأعلى صوتها، فما كان من الأطباء غير حقنها
بالمهدئ حتى يستطيعوا السيطرة عليها، وإيقاف النزيف.
سردت رغد ما حدث لوالدها وأخيها على مسامع والدتها
أيضًا ثم أكملت حديثها:

— الأول ودلوقتى يا حاج وإنى يا أستاذ محمد عاوزين تعملوا
ايه؟ تفتكروا ينفع تسيبوا حق بنتكم وإلا إنت يا حاج هتقول زى
إبنك و تقتله.

أجابها إبراهيم نافيا:

— لا يا ست لا أنا ولا إبنى هنقتل حد، مش هضيع مستقبل
إبنى كمان علشان واحد قذر زى ده، صحيح أهلنا لو عرفوا إني
مأخذتش بتار بنتى ممكن هما اللي يقتلونى لكن سمعة عيالى
ياهانم وحياتهم أهم عندي.

شعر إيهاب ورغد بمشاعر الأب وحاله وقرر إيهاب أن يتدخل
ويبقى الوضع مؤقتًا حتى تستعيد سما عافيتها متخوفاً أن ينقلها
والدها لمنزله حتى لا يتعرض لتساؤلات النيابة فتحدث لهم قائلاً:

— اسمع يا حاج أنا هقولك رأيي.....إنت هتسيب بنتك
تتعالج، ولو النيابة وصلت أنا هاتصرف وأجل استجوابها لأنها

لسه ما إستعادتش وعيها، ومن هنا لوقتها تكون هديت وقررت
إنت وأخوها تصرفكم هيكون إزاسو على ضوء اللي هتقرر وه أنا
هاتصرف، عاوزين تمشوا قانوني وتبلغوا أنا معاكم، عاوزين
تأخذوا البنت و تعتبروا إن البلاغ ما حصلش أنا معاكم.

وجد محمد أن هذا هو الحل الأرجح فأخته تحتاج العلاج ولن
تناله كما يجب بالمنزل فتحدث مقنعا والده:

– بابا أنا شايف إن ده أحسن حل، وإحنا لسه برده مانعرفش
أى تفاصيل عن إالى عمل كده.

ثم وجه حديثه لإيهاب:

– بس حضرتك فعلا هتقدر تعمل كده وتأجل تحقیقات
النيابة.

إيهاب بثقة:

– اقدر يا محمد ماتقلقش.

ثم أخرج بطاقته التعريفية التى ما أن قرأ بياناتها محمد إلا
وتأكد من استطاعة إيهاب فعل كل شيء.



الفصل الثالث

بمكان آخر بهذا الحي المتواجد بوسط الإسكندرية والذي يدل على أن من يسكنه من الطبقة المتوسطة المستوى، عاد الشيخ محمود من المسجد بعد صلاة العشاء لتخبره زوجته عن عودة ابنه وتغير حاله، فلم يصح بها لإعداد الطعام كما يفعل فى الفترة السابقة بعد أن تبدل حاله من طالب مجتهد خريج كلية من أهم وأعرق الكليات كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الشاب المصلي حافظ كتاب الله والذي صار مستهترا بعد أن تخرج ولم يجد العمل وصاحب رفاق السوء ثم أجبرها على تنازلها له عن جزء من قطعة الأرض إرثها من عائلتها وبيعها لشراء تلك السيارة التي يعمل عليها لنقل المواطنين بين الأماكن وبعضها بالأجرة لم يعد حال ولدها كما كان ولكن اليوم غير كل الأيام.

إرتضى جسد الشيخ محمود حين بدأت زوجته تحدثه عن ولده فقد سأم أفعاله ولكن كلامها أفاقه حين قالت:

– رجع من بره ولا زعق ولا طلب الأكل ودخل إستحمى وقفل على نفسه، وكل ما أقرب من الأوضة يا حاج أسمع صوت بكاه ولا كأنه عيل صغير، خوفت أدخل أكلمه وإستيتك ترجع ليكون خبط حد بالعربية ومات يا أخويا، قوم بالله عليك شوف ماله.

فزع محمود من ما تتبأت به زوجته وتحرك من جلسته متجها
لغرفة ولده طارقا بابها ولكن دون أن يلقى ردا وما سمعه حينما
أقترب من مناجاة ولده لربه بالغفران جعله يسرع فاتحا إياه ،
ليجده جالسا على سجادة الصلاة رافعا يده للمولى عز وجل
يناجيه ربت على ظهره رافعا إياه جالسا به على سريره متسائلاً:
_ مالك يا ابني فيك إيه؟ ايه اللي حصل يخليك تدعى لربك
كده؟ عملت إيه يا مراد تستغفر عليه؟

طمنى يا ابني حد مات بسببك، أذيت حد ، طمنى يا حبيبي.
هز مراد رأسه نافيا موت أى شخص.

أعاد عليه والده سؤاله وهو يحرك جسده بهزات قوية:
_ طيب قولى عملت ايه؟ ايه إالى بيبيك زى الحريم كده!!
انفجر مراد باكيا ناطقا بما لم يتخيله والده بأشبع كوابيسه:
_ اغتصبته..... اغتصبت بنت كانت راكبة معايا.

صاح والده به صافعا إياه عدة صفعات قوية:
_ ازاي.... إنت بتقول إيه.... مين دي؟ تعرفها مين؟ رد عليا ،
كنت سايبك وبقول جواك نبته

طيبة لكن يا خسارة هى فين دي ، يا خسارة تربيتي فيك يا
واطي يا قدر ، انت لازم تتجوزها ، قوم دور عليها.

كان وقع كلمات والده عليه كالصدمة.... يتزوجها.... كيف
له أن يصل إليها؟ وماذا سيفعل به أهلها حين يعلموا؟ وهل مازالت
حية بعد أن ألقاها من سيارته؟.

خرج الشيخ محمود وترك ولده خلفه شاردًا بكلماته الأخيرة،
 أحقا قالها والده يتزوجها، يتزوج ممن؟ من فتاة اغتصبها عنوة ولم
 يشفق على حالها، بل ألقى بها تواجه مصير لا يعلمه غير الله،
 فربما توفاه الله بعد كل ما حدث لها، هو حتى لا يتذكر ملامح
 وجهها فكيف له بالبحث عنها، ظل يتساءل بداخله كيف
 يتعرف عليها أو يصل لأي معلومات عنها ولم يعيده إلى واقعه غير
 عودة أبيه حاملاً بيده حقيبة مما تستخدم للرحلات والسفريات
 جمع بها أغراضه وملابسه من خزانته الخاصة وأمسك به من
 تلايبه يجره جراً ووالدته تتمسك به باكية تتوسل زوجها:

— بالله عليك يا محمود بلاش تخرجه بره البيت، ابنك لو خرج
 من هنا هيصيح أكثر، ابني هيروح منى، حلها يا شيخ محمود، ده
 أنت الناس بتلجأ لك فى مشاكلك، جوزها له ويعيشوا معانا ربيه
 بمعرفتك، ماتسيبوش لولاد الحرام يربوه، هيكملوا على الباقي
 منه، الشارع مش بيرحم.

لم يقاوم مراد والده وكأن جميع قواه قد خارت وظل مسائراً
 له حتى طرده شر طردة وهو يخبره:

— بيتي ده ماتقربش منه غير وإن عارف بنت الناس إلكي
 أذيتها ومتفق مع أهلها علشان أروح أكتب لك عليها، وأعمل
 حسابك مش هتدخله مره ثانية غير وهي مراتك، غير كده لا
 أنت ابني ولا أعرفك وبيتي إتحرم عليك.

حالة من الذهول سيطرت على مراد ووالدته بالداخل أيضاً
 فكلمات زوجها جعلتها تترنح حتى ارتكزت على أقرب مقعد
 مقابل لها ملقية بثقل جسدها عليه، تعلم جيداً أن زوجها لن

يحتمل فراق ابنه وإنما وضع شرطه هذا حتى يحمله نتيجة أفعاله.
صفق محمود باب المنزل وما زال ولده يقف أمامه ولم يجد
مراد حلا وهو بهذا الحال، جلس على الدرج الرخامي مستندا
بجسده على جدران منزله، وما لبث إلا برهة قبل أن يدفن وجهه
بين كفيه وقد أجهش بالبكاء، رفع رأسه ناظرا الى أعلى قائلا
برجاء:

— يارب.... يارب.

يعرف أنه لن يجد مأوى له غير أحضان والداه، وما أن شعر
بوقع أقدام أحد الجيران صاعدا حتى استقام واقفا وهو يمسح
وجهه في ملابسه و حمل حقيبته مسرع الخطى مطأطأ الرأس،
حتى وقتما تلاقى بجاره لم يجيب تحيته وأسرع يهبط الدرج
خارجا من بوابة العقار متجها إلى سيارته، قادها متحركا بها
من أمام العقار ومن الحي بأكمله إلى مكان آخر، صف السيارة
وأحكم إغلاقها ممددا جسده بكامل المقعد تعمق بالنوم
وكأنه يهرب به من تلك الأفكار والهموم التي ألصق نفسه، بها
لم تدم راحة باله كثيرا ولن يهنئ بعد اليوم فقد رآها بأحلامه
رآها تأخذ بحقها منه رأى دمائه تسيل كما أسأل دماء عذريتها.
نضح جبينه بالعرق... كانت أنفاسه تتسارع... يكاد يختنق...
رفع يديه يتمسك بعنقه وكأنه يحميه من بطشها به... انتفض
جسده وصاح بأعلى صوته:

— ماتدبحنييييش.

استيقظ من كابوسه، وهو يتلفت حوله، لن ينعم بعد الآن

بحضن والدته الدافئ ولا صوت والده وهو يتلو عليه آيات القرآن الكريم حينما كان يتعرض لمثل هذا الموقف ظل يدلك عنقه وجسده لعله يهدئ من روعه.

ارتفعت صوات الأذان، ظل يبحث بنظره من خلف زجاج سيارته عن أقرب مسجد حتى وقعت عيناه عليه، ترك سيارته وتوجه ليؤدي فريضة صلاة الفجر.



وصل رجال النيابة العامة ووكيل النائب العام للتحقيق بالحادث المبلغ عنه من قبل المشفى إلى القسم التابعة له والذي تم عمل المحضر من خلاله.

تقابلت نظرات والد سما وأخيها بذعر مع نظرات إيهاب المطمئنة لهم ثم تقدم من وكيل النائب العام الذي تعرف عليه من الوهلة الأولى مصافحاً إياه بكثير من الود والاحترام: — سيادة المستشار شرف إنني أقابل سيادتكم، هي المجني عليها تخص حضرتك ١٩.

رد إيهاب بهدوء:

— الشرف ليا ياهشام بيه، هي معرفة زوجتي.

هز هشام رأسه أسفا:

— طيب بعد اذنك يا باشا محتاجين نأخذ أقوالها.

فبادر إيهاب ليتلافى الطلب:

— هي لسه غايبة عن الوعي، ومعتقدش تقدر تتكلم

خالص، ده غير أنها لو تذكرت أي شيء هياثر سلبياً على حالتها.
تفهم هشام الموقف:

— خلاص أنا همشي حالياً وهنتظر تليفون من حضرتك تبلفني
إنها مستعدة للسؤال.
إيهاب ممتنا له:

— ألف شكر هشام بيه، حقيقي ده كرم منك، لكن أنا
طمعان في روح القانون مش في نصه، لو أهل البنت قرروا يقفلوا
الموضوع يبقى هنعبر الموضوع ما حصلش، معلى اعتبره رجاء
من أب مش من المستشار، حضرتك فاهم نظرة الناس في
الحالات دي لما بتتعرف.
هشام وهو يصافحه:

— حضرتك قامة يحتذى بها ومكانتك عندنا كبيرة ياباشا،
ورأي حضرتك يمشي علينا كلنا وأنا في خدمتك دايمًا، و لو
احتجت مني أي معلومات خارج النطاق الرسمي أنا موجود.
رحل رجال النيابة من المشفى ولم يبقى لهم أثر، وتيقن كلا
من إبراهيم ومحمد بصدق وعود إيهاب لهم.

استأذن إيهاب وزوجته بالانصراف ووعدتهم رغد بالعودة مرة
أخرى غدا، ذهبت حيث جلست والدته سما ربتت على كتفها
مقبلة رأسها:

— أنا همشى يا حاجة مش عاوزة مني حاجة؟، والله لولا إني
سايبة الولاد لوحدهم كنت قعدت معاكي، بالله عليكى لو
فاقت دلوقتي بلاش تزعليها كفاية إلكي إتعرضت له.

هزت والددة سما رأسها دليل على تفهمها ولم تستطيع أن ترد على كلمات رغد فقد اعترها التعب، ولكنها صامدة حتى تستفيق إبنيتها وتطمئن عليها، نظرت لرغد نظرات ممتنة شاكرة لها معروفها. توجه محمد مصافحاً إيهاب:

— سيادة المستشار أنا مهما قولت مش هقدر أوفي حضرتك والدمام حقكم، انتوا حقيقي ناس محترمة من أصل طيب وعمري أنا وعيلتي ما هننسى وقفتم معنا ومعروف مدام رغد في إنقاذ حياة أختي طوق في رقبتى طول ما أنا عايش. سمعت رغد كلماته لزوجها وقبل أن يجيب إيهاب وينكر أي معروف سبقته هي وردت على كلمات محمد:

— وأنا يا محمد طالبة منك ترد المعروف.

نظرات تساؤل ودهشة من حديثها سيطرت على زوجها ومحمد، فإيهاب يعلم عن شخصية زوجته ما لا يعلمه أحد، ولو توقع محمد أنها ستطالبه برد الجميل لم يتوقعها إيهاب نهائياً ولكنها أكملت حتى تجيب نظراتهم:

— رد ليا جميلي إنك تحافظ على سما وتجيب حقها بالعقل وسيبك من إنك تقتله والتار والدم والكلام ده، أختك دلوقتي أهم من أى حاجة تانية، لازم تقف جنبها وتبعد عنها كلام والدك ووالدتك، ونظرات الخزي والخوف من الناس واللي فى عيونهم، وأنا معاك ونساعدها تقف على رجلها مرة تانية.

لم يجد محمد ما يجيب به كلمات تلك السيدة العظيمة، أتريده أن يرد معروفها بأخته هو، لم تطلب منه طلباً شخصياً،

أيوجد من مثلها بزماننا هذا :

_أنا مش عارف أرد على حضرتك بإيه!!، حضرتك بتبهريني
بكرم أخلاقك وأخلاق سيادة المستشار أنا ماتخيلتش إن
ممکن أقابل حد فى أخلاقكم وإحترامكم.

رغد وهى تصافحه :

_الخير بأمتى إلى يوم الدين، ده كلام رسولنا محمد عليه
الصلاة والسلام.

أوماً محمد برأسه قائلاً :

_ عليه الصلاة والسلام.

وأكملت رغد قائلة :

_أكيد فيه غيرنا كثير يا محمد.

غادر إيهاب وزوجته المشفى بوعد من رغد بالعودة مرة أخرى.
وفي طريق إيهاب لبوابة الخروج قام بالمرور على قسم
الحسابات واطعاً مبلغاً من النقود يغطي تكلفة إقامة وعلاج
سما، فمستشفى خاص كهذا لن تستطيع هذه الأسرة تحمل
تكاليفه، ويكفيهم ما هم فيه من مصاب جلل.



انتهت صلاة الفجر ولم ينهى مراد صلاته سجد لربه يدعوه أن
يلهمه الصواب ويناجيه :

_ يارب أنا عارف إنى غلطان، سامحني يارب.... سهلي
طريقي.... وصلني ليها.... أنا هستحمل كل حاجة وأي حاجة...

بس أصلح غلطتي معاها ، يارب اغفر لي ذنوبي....حنن قلب أبويا
وأُمى عليا.

ظل ساجدا يبكي وتتهمر دموعه يناجي ربه ويتوسل له.

عاد لسيارته بعد أن طلب منه المسؤول عن المسجد الانتهاء
لكي يستطيع غلق المسجد حتى تحين صلاة الظهر.

لم يغب عنه أنه لم يذق الطعام ولكنه لم يشعر بالجوع، وكل
ما يشعر به حاجته للنوم، أخذ وضعية النوم بنفس المقعد
بالسيارة، وما أن غفلت عيناه إلا وهاجمته كوابيسه وكأنه
حُرم عليه من لحظة انتهاكه لها الراحة والهدوء، عاش كثيرا
من الوقت بداخل هذا الكابوس لم ينجده منه غير صوت رنين
الهاتف المحمول، ظل يبحث وهو مازال بين اليقظة والنوم إلى أن
وجد هاتفه بجيب بنطاله، ولكن لم يجد به أي مكالمات، جلس
يتسائل من أين هذا الصوت، ربما يكون من هاتف أحد المارة بجوار
السيارة، ولكن ماهي إلا لحظات وعاد ذلك الرنين يصدح مرة
أخرى، فتح باب السيارة وذهب للباب المؤدي لمقاعد الركاب،
وظل يجول بنظره بين المقاعد وخلفها حتى وجد تلك الحقيبة
الصغيرة، فتحها ليجد ذلك الهاتف الصغير والذي تعالى رنينه أكثر
حينما أخرجه منها، وجد إسم المتصل نيرة، فتذكر سريعا أن آخر
من كان بالسيارة هي تلك الفتاة، وربما يكون هذا هاتفها، ضغط
زر الاجابة ولم يتحدث لتندفع صيحات تلك النيرة بأذنه:

— انتي يا ست سما هانم لسة نايمة والمدرس على وصول، كل
ده مانزلتيش من البيت، انتي مش بتردي ليه؟..ها سما..سما.

أغلق مراد المحادثة وتأكد أن الهاتف لها ، رفع وجهه للسماء حامدا الله أنه أوصله لهذا الخيط وسيصل لها عن طريقه باذن الله تعالى.

بحث بالهاتف لم يجد كثيرا من الأسماء المسجلة عليه.....
غير بأسماء بابا... إذن فهذا رقم هاتف والدها ، هبة...أعتقد أنها صديقتها ، ثم إسم تلك المزعجة نيرة... وبالتأكيد بعد ما سمعه من حديثها فهي صديقتها... وآخر الأسماء وجدته مسجل باسم جذب إنتباهه بشدة (نور عيوني)...فضن أن هذا الإسم والرقم ربما لشاب تعرفه أو على علاقة به...

لم يتوقع أن نور عيونها هو أخيها حاميا وسندها.
قرر مهاطفة والدها ولكن بعد أن يرتب أفكاره وكلماته التي سيلقيها على مسامعه حتى يستطيع إقناعه.



صرخة مدوية أعلنت عن عودة الوعي لتلك الراقدة بسريرها جعلت الجميع يتحرك باتجاهها ، أول من وصل لها أخيها يليه والده ووالدته ، التي حاولت جاهدة أن تقف على قدميها وأسرع إليها الطبيب المعالج ومساعدته التي حاولت إخلاء الغرفة من عائلة سما :

— يا جماعة لو سمحتوا مش هينفع كده ، أخرجوا بره ، دي في العناية وممنوع الدخول سيبوا الدكتور يشوف شغله.
وقبل أن يتحرك أيا منهم حتى يتفقدوها الطبيب منعهم صوت سما متمسكة بيد أخيها التي احتوتها فور سماع صراخها :

— ماتسبنيش يا محمد أنا خايفة أوي... أوعى تسبينى تانى...
هياخطفنى تانى يا محمد.

كانت تتأوه مع كل كلمة تشعر وكأنها تعيش نفس
اللحظات مرة أخرى... تتذكر ما حدث لها... شوفت عمل فيا
إيه... أنا حيايتى إنتهت.

إنهمرت دموعها وإرتفعت شهقاتها ظلت يد أخيها تحاولها
ليطمئنها، ولكنه لم يستطع كبح دموعه من مشاهدة صغيرته
بهذا الشكل وكل هذا الانهيار، وقف والدهم يتابع المشهد
أمامه بألم

وقهر، إحساس بالضعف والخوف إجمعت داخله مشاعر
عدة، إزداد غله وحقده على فاعل الجُرم المشهود بإبنته، لا
يعرفه حتى يأخذ بحقها، وهل إذا تعرف عليه ووقع تحت قبضته
سيفعلها، سيأخذ حقها منه، أم سيخاف ملامة الناس ومعرفتهم
بما حدث لإبنته.

ظلت والدة سما تنظر لإبنتها وبكائها، شهقاتها، خوفها وهي
بحضرة عائلتها، تشعر وكأنها داخل كابوس مؤلم لم يوافق
عقلها على رؤية فلذة كبدها على هذا الوضع المؤلم، تحاملت
على نفسها من بداية اليوم ولكن كفى لم يستطع قلبها المريض
أن يحتمل أكثر من ذلك، فخارت قواها، حاولت التمسك بأي من
الجدران خلفها لكن لم تسعفها قدماءها، وتراخى جسدها حتى
سقطت بدون حراك.



الفصل الرابع

هرول إليها الجميع، زوجها الذي لم يلحظها وهي ترفع يدها تضغط بها على قلبها المتألم، وإبنها الذي حجب عنه بكائه رؤية والدته وهي تتراخى ويظهر الألم جليا على وجهها، والطبيب الذي ما أن فحصها حتى نكس رأسه متألما على هذه العائلة المكلومة وعلى ما تواجهه وستواجهه من أوجاع مرددا:
_ البقاء لله.

تعالى الصرخات وإزداد النحيب بالغرفة ذاتها، ولم يكن من سما فقط بل من الجميع.

ظل محمد يحرك جسدها وهو يصيح بها بشهقات متقطعة:
_ أمي ماتسيييناش يا أمي....مش هقدر أكمل من غير دعواتك ردي عليا...لاااااااا أمي.

تحاملت سما على آلامها، محاولة الوقوف ولم تستطع، خرت على ركبتها، حبت كالطفل على أربع حتى وصلت لجسد والدتها، فارتمت محتضنة جسد والدتها صارخة بأعلى صوتها وشهقاتها تتزايد:

_أمي.

ازدادت الشدائد على تلك العائلة، وما زال رب الأسرة يحاول استجماع قوته حتى يتدبر أمر عائلته.

استجمع والدهم قوته حم حم ليسترد نبرة صوته ويستطيع

إخراج كلماته ممسكا بمنكبي ولده من خلفه رافعا له يحثه على الاستقواء مرددا له:

— أقف يا محمد... أقف أنت سندننا يا ابني، شد حيلك ومد إيدك مع إيدي نكرم أمك نكرم الست اللي عاشت عمرها كلة زوجة مطيعه... راضيه بكل اللي بعمله فيها..... متحملة علشانكم وعلشانى، آن الآوان نكرمها ونردلها جميلها، لازم تقوينى علشان أكمل مهمتى مع إخواتك البنات.

نظرله محمد نظرات حملت كثيراً من العتاب، فكثيرا ما كان حاد الطباع مع تلك الأم الحنونة وكثيرا ما أثقل على عاتقها وألزمها بما لا يتحملة بشر، ولكنه لا يستطيع غير أن يطيعه، فهو بالنهاية والده وكثيرا ما أوصتهم والدتهم ألا يغضبوه، وأن يراعوا أنه من يتحمل المتاعب وشقاء العمل من أجل توفير حياة كريمة لهم.

أخرج منشفه ورقية مجففا بها دموعه، زافرا تنهيدة لعلها تخرج معها أوجاعه محاولا إستعادة قوته، حمل جسد سما الملقى فوق جثة والدتها ليعيدها إلى مرقدتها، إستجاب له جسدها وهو يزداد بالارتجاف وتتعالى شهقاتها، كانت بين الوعي واللاوعي، وضعها برفق وكأنها زجاج يخشى كسره، ثم وجه حديثه للطبيب المتواجد معهم بالغرفة متسائلا:

— هي تقدر تخرج معانا النهارده يادكتور؟

رد الطبيب بثقة:

— لا طبعا، أولا لسه فى نزيف لازم نتأكد أنه وقف وإلا

هنضطر ننقلها دم تانى، ده طبعا غير زي ما حضرتك شايف حالتها العصبية والنفسيه محتاجه عنايه طبية، وما أعتقدش أنكم فى ظروف تقدرؤا تهتمؤا بيها، أنا هاحقنها بمهدئ لحد ما تقدر تتجاوز المحنه دي وتتقبل وفاة الوالدة.

تفهم محمد حديث الطبيب وأماء له بالموافقة، غل أصابعه بشعره الكثيف محاولا ترتيب أفكاره بنفس الوقت الذى قام الطبيب بإعطاء سما المهدئ، وأوصل تلك الأنابيب الطبيه بأوردتها من جديد حتى يستطيع تغذية جسدها بزجاجات الجلوكوز، أخرج محمد هاتفه عابثا بشاشته حتى توصل لاسم أخته هبه، ضاغطا زر الإتصال وبعد قليل أجابته وقد نفذ صبرها فمن وقت أن وصل إلى المشفى لم يخبرها بشئ عن أختها سما، فصاحت به معاتبه:

— كده يامحمد، كده أقولك طمنى تسيبنى كل ده على أعصابى وأتصل عليك ماتردش عليا.

قطع حديثها وهو يحاول إظهار صوته طبيعيا:

— حقك عليا ياهبه إنشغلت من وقت ماوصلت، أسمعيني كويس عاوزك تجيبى لبس لسما، وتيجى على المستشفى بسرعه، وعاوزك كمان تفضلي تكلميني بمجرد ماتخرجى من باب الشقه، سامعه ياهبه تنفذى كلامى بالحرف الواحد.

جاءت كلماته حاسمه لم تستطع هبه مجادلته ولكن بدأ شعور القلق يتسلل لقلبها فأجابته متسائله:

— هى سما حصلها إيه يا أخويا ؟.

لم يشأ محمد إخبارها هاتفياً وأثر الانتظار إلى أن تصل المشفى ووقتها يخبرها بكل شئ كي يتسنى له تركها بجوار أختها الراقده لا حول لها ولا قوة والقيام بإجراءات الدفن لوالدته.

فأجابها مقتضياً:

— سما كويسه يا حبيبتي وكلها مسافة الطريق وتطمني عليها بنفسك، يالا ماتت أخريش عليا.
وأغلق الاتصال

تهدت هبة وقد دخلها الهدوء قليلاً لكن ما زال هناك بداخلها تساؤل وقلق عن سبب تواجد أختها بالمشفى.

نظر محمد لجسد والدته فهو ما زال بالأرضية الرخامية، ثم جال ببصره ليجد والده لا يستطيع الحركة يجاور زوجته ناظراً لها، أقبل على جسد والدته حتى يحمله ويضعه على السرير المقابل لسرير أخته، ولكنه لم يستطع بمفرده فوجد الطبيب يمد له يد العون ويحملها معه، وضعها وقامت مساعدة الطبيب المرافقه له بتغطية جسدها بغطاء من القماش أبيض اللون المخصص لأسرة المشافى.

شكر محمد الطبيب ومساعدته.

فأجابه الطبيب و الأسف على حالهم يسيطر عليه:

— لا شكر على واجب أنا هاكتب لحضرتك تقرير بحالة الوالدة، علشان يسهل عليك إجراءات تصريح الدفن وشهادة الوفاة.

رد محمد بامتان:

— كتر خيرك يادكتور، تعبناك معانا.

أستاذن الطبيب بالإصراف ومعه مساعدته، تاركا محمد شاردًا مفكرًا في من يستطيع اتئمانه على أختاه، ولم يجد غيرها ولكنه تردد للحظات، ثم عقد العزم وأخرج من جيب سترته تلك البطاقة الصغيرة المدون بها أرقام المستشار إيهاب رضوان، وضغط على الأرقام من هاتفه الجوال ولم ينتظر الكثير حتى أجابه إيهاب بصوت ناعس:

— السلام عليكم.

خجل محمد من نفسه ولكنه لم يستطع التراجع الآن:

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، سيادة المستشار أنا محمد أخو سما.

اعتدل إيهاب من رقدته وكانت رغد الراقدة بجواره قد إستيقظت على صوت رنين الهاتف وانتبهت حين سمعته يقول:

— خير يا محمد سما حصلها حاجه لا قدر الله.

نفي محمد:

— سما بخير لسه على حالتها زي ماسيبتوها.

فتسائل إيهاب:

— طيب طمني محتاج حاجه.

رد محمد و هو يحاول استجماع قوته:

— لا هو في الحقيقه والدتي..... هي إللي توفاهها الله.

وقع الخبر على ايهاب كالصاعقة حزنا على تلك المكلومة
التي لم تتحمل و كسى الحزن صوته قائلاً:

— لا حول ولا قوة إلا بالله، البقاء لله، طيب وأنتوا فين دلوقتي.
شهقت رغد بجانبه وهي تردد:

— سما....سما دي يا إيهاب، البنت جرالها إيها؟.
ولم يوقف لهفتها وكأن المصاب لأقرب الأقربين لها غير
إشارة زوجها بالنفي.

أجابه محمد:

— كلنا في المستشفى، أنا كنت محتاج مساعدة مدام
رغد، حضرتك عارف....

لم يكمل محمد كلماته لقطع إيهاب حديثه بما لا يتوقعه
نهائياً:

— استتي يا محمد إحنا هنجيلكم حالا، متتحركش من
مكانك أنا هكون معاك في كل شيء، ورغد هخليها مع سما.
لم يعلم محمد كيف يجيب ولكنه أصبح يتوقع من هذا
الرجل وزوجته ما لا يفعله الأهل والأقارب وقبل أن يتحدث
شاكرا له فضله، سبقه إيهاب قائلاً:

— يلا يا محمد أنا جايلكم مع السلامة.

نظرت رغد لزوجها مستفسرة عن المتوفي فأجابها إيهاب
وهو يهب واقفا يخرج ملابسه:

— والدة سما اتوفت يا رغد، وهم محتاجينك، انتي أكيد

عارفه الموقف اللي هم فيه، ومعتقدش يقدرُوا يبلغو حد من أهلها
يقعد معاها.

لم تنتظر رعد أن يكمل حديثه بل كانت تستمع له وهي
أيضا تستعد للذهاب معه خرجا من منزلهما بعد أن تفقدت
أبنائها وأخبرتهم بمكان تواجدها هي وزوجها.



في المشفى...

جلس محمد بالمقعد المجاور لأبيه الجالس أمام سرير زوجته
المتوفيه يتلو عليها آيات القرآن الكريم لعلها تهدأ من روعه،
انظره محمد حتى أنهى السورة القرانية ونطق:

– «صدق الله العظيم»

حتى وجه له سؤاله الذي يحمل الكثير والكثير من ذكريات
وآلام عاشتها والدته قائلا:

– هتدفن أمي فين يا بابا؟، مقابر عيلتها في بلدهم كفر
الشيخ، وعشان ندفنها هناك هناخد وقت كبير جدا، ولازم نبليغ
أهلها من دلوقتي علشان فتح المقبرة وممكن يقعدونا أيام العزاء
ومعتقدش ينفع نسيب سما في الظروف دي.

فأجابه والده بمزيد من الأسى:

– هندفنها هنا يا بني في مقابر عائلتي أنا.

رد محمد ليذكره:

– ووصية جدتي إن الفلاحة ماتتدفنش معاها، أمي يا بابا اللي

كانت بتخدمها لآخر يوم في حياتها ، و برضه فضلت معتبراها
فلاحه و أقل منها.

رد والده:

— أمي الله يرحمها ويسامحها بقي يا محمد ، وأمك كمان
الله يرحمها ياما استحملت ودلوقتي وقت إنني أردلها وقفتها مع
أمي ومعايا ، وإكرام الميت دفنه وأنا همدفنها مع أمي حتى لو
خالفت وصيتها.

لم يكملا حديثهما حيث قاطعهما صوتا هاتفيهما برنينهما
معا بنفس التوقيت ، فهاتف محمد أضاء باسم هبة ، أما والده
فقد أعلن هاتفه عن اتصال من رقم لم يكن مسجل لديه رقم
لا يعرفه من قبل ، أجاب وقد غلف صوته الحزن وامتلات نبرته
بالارهاق والتعب قائلاً:

— أيوه السلام عليكم.

أجابه الطرف الآخر وهو يحاول ترتيب كلماته:

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

رد إبراهيم:

— مين معايا ؟!

جاء الرد:

— من فضلك يا حاج أنا محتاج أقابلك علشان موضوع يخص
بنتك.

رد و هو يحس برأسه يدور:

— بنتي مين؟ وعاوز إيه منها؟ وإنت مين أصلاً يا بني؟

تتأتأ بكلماته وهو لا يعرف كيف يجيبه؟ أيعقل أن يقول له ابنتك المغتصبه أم ماذا يقول؟ فهو لا يعرف اسم ضحيته، ثم تذكر تلك المتصله التي حادثتها من قليل حينما قالت اسمها فأجاب:

— بنتك سما ياعم الحاج، أنا اسمي مراد محمود، ممكن أقابلك دلوقتي في أي مكان.

انتبه إبراهيم لحديثه وصاح به:

— وإنت عاوز إيه من بنتي؟ تعرفها منين؟ رد عليا إنت مين؟
رد مراد وقد ملأ قلبه الرعب:

— اسمعني بس يا حاج وخليني أقابلك وأنا أجابو على كل أسئلتك.

رد إبراهيم بنفاد صبر:

— أنا مش هينفع أقابلك دلوقتي، أنا مممم...

وقبل أن يكمل كلماته كان محمد قد عاد للغرفة بعد أن خرج منها ليحدث أخته ويظل متواصلاً معها عبر الهاتف حتى تصل إليه، ولكن وصل لمسمعه صياح والده فعاد له متسائلاً:

— فيه إيه يا بابا؟ صوتك عالي ليه سما جرالها حاجة تاني.

أجابه والده وهو يمد له هاتفه بيده:

— مش عارف مين ده؟ بيقولي قابلي علشان حاجة تخص سما يا بني.

تتاول محمد الهاتف منه محدثا الطرف الآخر :

— أيوه إنت مين؟ و تعرف سما منين؟.

رد مراد :

— أنا مراد وعاوز أقابل والد سما ، أرجوك خليه يقابلني
لموضوع ضروري.

محمد بانفعال :

— إنت غبي !!، هو أنا بسألك على اسمك ، أنا بسألك إنت
تعرف سما منين؟ وإيه الموضوع الضروري اللي بتتكلم عنه.

كاد مراد أن يفقد أعصابه ويسبه ردا على نعته بالغباء ، وهو
حتى لا يعرف صلة قرابته بضحيته أو والدها ، ولكنه اضطر أن
يضبط انفعالاته ورد عليه بهدوء :

— هو حضرتك مين؟ أنا كنت باكلم والدها ، ممكن
تخليني أكلمه تاني.

محمد وقد نفذ صبره :

— اسمع يا جدد إنت ، أنا أخوها وأبويا مش هيقدر يقابلك
حاليا لو عايز حاجة كلمني أنا.

سُر مراد وقد ظن أنه عثر أخيرا على مراده وخيل له عقله
للحظات أن أخاها شاب مثله وسيستطيع التفاهم معه فأجابه :

— طيب أنا عاوز أقابلك في أسرع وقت بالله عليك.

شعر محمد بتوتره وازدادت رغبته بمعرفة من هذا الشخص
وما هو مطلبه ولكن يصعب عليه أي شيء حالياً فحادثه قائلاً :

— أنا صعب جدا أتقابل معاك دلوقتي إحنا عندنا حالة وفاة

قطع مراد حديثه متلهفا :

— سما هي اللي اتوفت؟.

أدرك محمد أنه يعرف بحادثة أخته، ولكن من هذا؟ وما دوره بالحادثة؟ ولم يمر على خاطره للحظة أنه فاعلها، ولكنه أيضا لم يستطع كبح غضبه من خوف هذا المراد على أخته ولهفته لمعرفة من المتوفي فأجابه :

— إنت إيه يا بني آدم إنت، وإنت مالك إن كانت سما وإلا لا، وإيه علاقتك بأختي؟ وتعرف منين إنها تعبانة؟ انطق فهمني.

انتظر إجابة مراد على أحر من الجمر، فلم يستطع الآخر إجابته متلعثما :

— أنا.... أنا!!!....

ولم يكمل ما أراد قوله حيث قطع حديثه محمد :

— رد عليا إنت إيه؟ تعرفها منين؟ أكيد إنت السبب في اللي هي فيه.

حاول مراد استرسال حديثه ولكن محمد لم يعطيه أي فرصه فاضطر لإنهاء المحادثة، ظل محمد يلعن ويسب ولم ينتبه لإغلاق الخط، ولا لأخته هبة التي استمعت لحديثه أثناء تواصلها معه على هاتفه كما طلب منها وتلك الصيحات الخارجة من هبة تتاديه متسائلة :

— محمد... يا محمد... مين اللي مات يا أخويا طمني يا محمد، رد عليا سما حصلها إيه يا محمد.

ظلت تصيح ولم يخطر ببالها أن تكون والدتها هي من فارقت دنياهم أما أخيها فظل يحدث والده الذي لم ينتبه لحديثه وظل شاردا متجمد الملامح:

— مين ده يا بابا؟ مين ده؟ أنا حاسس إن هو ده السبب والله لندمه على اليوم اللي اتولد فيه.

فتح إيهاب باب الغرفة بعد أن طرقه عدة طرقات ولم يجد إجابة وكأن الله أرسلهم بالوقت المناسب اقترب إيهاب من محمد مصافحا له:

— البقاء لله يا بني شد حيلك.

ثم ذهب لمصافحة إبراهيم الذي لم يكثر لكل ما يحدث حوله وكأنه بعالم آخر غير عالمهم حتى عندما قدم له إيهاب ورغد واجب العزاء اكتفى بإيماءة من رأسه.

نظر إيهاب مستفهما عن حالة الغضب وسبب صياح محمد ولعنه وسبه الآن قائلا:

— أنا سامع صوتك من بره يا محمد إيه بس يا بني اللي مخليك تقول كده؟،

دلوقتي نخلص إجراءات دفن جثمان والدتك وبعدها نشوف هنعمل إيه.

أجابه محمد:

— اللي مخليني أقول كده إن فيه شخص اتصل بينا بيسأل عليها وعائز يقابلنا، أنا حاسس إن هو ده اللي عمل فيها كده واعتدى عليها، لهفته وخوفه إن تكون هي اللي ماتت مش طبيعية.

صدم كلا من إيهاب ورغد من جرأة هذا الشخص ولكن لم يصدما من وقع الكلمة وحدهم بل وقع أثرها على تلك الواقفه بباب الغرفة بعد أن وصلت بمفردها واستعانت بموظف الاستقبال لتعرف مكان الغرفة القابعة بها أختها، وما أن وصلت حتى استمعت لتلك الكلمات وياليت صدمتها اقتصرت على تلك الكلمات فقط ولكن عينيها وقعت على ذلك الجسد المغطى بأكمله بذاك الغطاء الأبيض، ظل عقلها يحادثها وهي تنتظر بوجوه من بالغرفة، فرأت أخيها وإيهاب ورغد، فمن هؤلاء الناس ؟فهي لا تعرفهم، وما هذا؟ ما الذي حدث لوالدي؟ كيف له أن يجلس هادئ هكذا، الحمد لله أختي سما حية ترزق ولكن واضح عليها الإعياء الشديد، وهنا تنبه عقلها لعدم وجود والدتها.

— أمي..... أين أمي؟.....



الفصل الخامس

دخلت هبة للغرفة وقد تجمعت كل تعابير الذهول والدهشة على ملامح وجهها ، انتفض جسدها واحتلته القشعريرة ، تحركت بلا روح كالدمية ذات الخيوط ، سقطت الحقيبة من يدها واقتربت من السرير الموضوع عليه جسد والدتها ، امتدت أناملها بارتعاشة شديدة قد احتلت جميع أطرافها ، تسحب ذلك الغطاء من القماش حتى كشفت عن وجه والدتها ، وانفجر البركان القابع داخلها ، فمن وقت أن استمعت لكلمات أخيها على الهاتف الآخر وانقبض قلبها ، وآن الاوان أن يعلو الصياح بداخلها ويخرج ويطيح بالأخضر واليابس ظلت متمسكة بجسد والدتها محاولة رفعه وهى تصيح بأعلى صوتها :

_ماما قومي معايا ، قومي ياماما لالا، إوعي تموتي
وتسيييني، قومي يا أمي، سما محتجالك، أنا مش هقدر على
فراقك ياماما لا ياماما لالا، قومي بس قومي، بطلي تخزييني
عليكي، تعالي يامحمد، تعالي نزل رجلها معايا، وحياتي عندك
يا ماما قومي بلاش تسيييني.

رفعت وجهها للسماء داعية الله:

– یارب یارب سیلی آمی، الحمل ثقیل أنا مش هقدر علیه، أنا مش هقدر علییییییه، قومی یا آمی، مین هیلبسني فستان فرحی، لا یا آمی قومی، یارب خدنی أنا وبلاش هی.

كانت تتحدث وجسدها بأكمله يرتجف، تشهق وتبكي،
تكفف دموعها بظهر كفوفها كالطفل الباحث عن أمه بوسط
الزحام.

أبكي هذا المشهد جميع من بالغرفة صيحات هبة كانت
جرس إنذار لوالدهم حتى يفيق من شروده ويعلم كيف يحتاجه
أبنائه، يعلم أن الأب لم يكن واجبه يوما أن يأتي بالمال فقط
وإنما

يجب عليه إحتواء أبنائه، فقد ذهبت من كانت تحمل
عنه الحمل للقاء ربها وعليه أن يتحمل ويقوم بدور الأب والأم
معا، نهض ذاهبا لابنته محتضنا لها محاولا تهدئتها ولكنها
لم تستجيب، ذهبت إليهم رغد وجذبت يداها محيطة جسدها
النحيف المرتجف بذراعيها محتضنة إياها تتلو عليها آيات من
القرآن الكريم، دقائق ليست بالكثيرة حتى استجاب جسدها
وقلت ارتجافته، في حين تقدم إيهاب متحدثا لوالد سما:

— أستاذ إبراهيم أنا ومحمد هنروح نخلص تصريح
الدفن، وهابلغ هنا في المستشفى علشان يقوموا بالغسل
والتكفين.

ولكن كلمات محمد استبقت رد والده قائلا:

— بعد إذنك يا إيهاب بيه لازم الحاج يجي معانا علشان
إجراءات فتح المقبرة، لأن والدتي هتدفن في مقابر عائلة والدي
وهو هيتصرف في الموضوع ده أفضل مني، تفهم إيهاب حديث
محمد.

أبلغ إيهاب المختصين بالمشفى بانجاز بقية المهام حتى يتسنى لهم دفن الجثمان اليوم.

تمت الاجراءات بسرعة فائقة فوجود المستشار إيهاب رضوان كان كفيلا لإتمام كل شئ بمنتهى السهولة ، واصطحبهما للخارج مستقلين سيارته الخاصة ، بعد أن تسلم محمد تقرير من المشفى مدون به أسباب الوفاة لتقديمها لمكتب الصحة لاستخراج تصريح الدفن بينما وبقي أمر فتح المقبرة والتي طلب إبراهيم من العامل المسؤول عن مقابر عائلته أن يقوم بفتحها وتجهيزها لاستقبال الجثمان ولكنه أبى أن ينفذ مطلبه بدون وجود إخوته أو من ينوب عنه من أبنائهم لتنفيذاً لتوصيات أخيه الأكبر الحاج حمزة.

صدم كلا من محمد وإيهاب وأصاب إبراهيم حالة من الهياج العصبي وصاح بالعامل بأعلى صوته دون مراعاة حرمة المكان قائلاً:

– إنت بتقول إيه يا جدد إنت؟ إخواني مين اللي أجبههم عشان أدفن مراتي دي تربة عيلتي، وأنا ليا حق فيها، والله لأبلغ عنك ومراتي همدفنها هنا يعني همدفنها هنا.

وقف إيهاب ومحمد حائلاً بينه وبين العامل المغلوب على أمره فهو أيضاً ليس بيده شئ هو ينفذ ما أمر به ، احتضن محمد والده لتهديته وتحدث إليه بينما ذرفت عينيه الدموع ألماً وحسرة على ما يحدث قائلاً:

– اهدا يا بابا شوية ، اللي احنا فيه أكبر من كلام إعمامي

اتصل بعمي حمزة وبلغه بوفاة أمي وشوف رده إيه وبعدها نحدد اللي المفروض يتعمل.

استجاب والده لمطلبه وبحث عن هاتفه ثم هاتف أخيه و هو يدعو ألا يرفض إخوته مطلبه الوحيد بإكرام زوجته، لم ينتظر الكثير حتى أجابه أخوه بمعاتبه مستهزئة:

— أهلا أهلا، والله زمان يا إبراهيم لسه فاكر إن ليك أخ اسمه حمزة.

أجابه إبراهيم غير مكترث لكلماته:

— مراتي ماتت يا أخويا وعاوز أدفنها والتربي بيقولي إنك لازم توافق.

رد حمزة ببرود:

— البقاء لله يا إبراهيم ربنا يصبرك يا أخويا.

تكلم إبراهيم سريعا متوجسا خيفة:

— ونعم بالله، المهم قولت إيه يا حمزة تعالي قوله يفتحلي التربة عايز أكرم مراتي زي مأكرممتي عمرها كله.

حمزة وقد ملأ نبرته المكر:

— معلش يا إبراهيم مش هينفع، إنت عارف وصيه أمك إن مافيش واحد من حريمنا تتدفن معاها ودي أمانه مقدرش أخالفها.

زاغت عيون إبراهيم وسقط هاتفه من يده رغما عنه، لم يتوقع كل هذا الخذلان من أخيه الأكبر، ومن الدنيا وما صدمته به في ساعات قليلة، بداية من اغتصاب ابنته الصغرى، إلى وفاة

زوجته ، نهاية بقلة حيلته بإكرامها ودفن جثمانها ، شعور بالحيرة والضعف تملكه ، أهو ضعيف لهذه الدرجة أحقا لم يستطع الوقوف بوجه طغيان إخوته ووصية والدته الظالمة لزوجته بحياتها ومماتها.

شعر محمد بوالده واستشف من شروده إجابة عمه حمزة عن مطلب والده ولم يستشعر وحده ما حدث إنما تيقن ذلك الرجل الخلق المساند لهم بمحنتهم رغم عدم وجود صلة دم تربط بينهم إلا أنه كان نعم العون والسند فامتدت يداه لتربت على ظهر إبراهيم موجها حديثه لمحمد :

— يلا بينا يا جماعه الحاجه هتندفن بمدافن عيلتي.

وقبل أن يجيبه أحدهما كان يصطحبهما بعد أن خذلهم الأهل والأقارب متوجها إلى أحد المدافن الكبرى التي تشبه الغرف ويوجد بها عدة مقابر.

انتظرو قليلا حتى أتى لهم العامل المسؤول عن المدفن مرحبا بإيهاب:

— أهلا أهلا يا باشا تعيش وتفتكر.

أجابه إيهاب بمنتهي الاحترام والأدب:

— أهلا بيبك يا عم محمود.

وقدم له بيده ورقة لتصريح الدفن

— افتحلي تربة سيدات يا عم محمود.

محمود بفزع:

— خير يا باشا مين اللي اتوفي.

إيهاب مشيرا لإبراهيم:

— حرم الحاج إبراهيم وهو من معارفي، افتح التربة وأي وقت
يجي هو أو ابنه أو بناته افتحلهم بوابة المدفن يزورو والدتهم
ومتأخرش عنهم في أي طلب.

حرك محمود رأسه بالموافقة وهم ليأتي بمعداته لفتح المقبرة
دون جدال.

كل هذا يحدث وإبراهيم وابنه لم يستطيعا الرفض فليس
لديهما بديل وما فعله معهم إيهاب موقف إنساني لم يجدها من
أقرب الناس اليهم، ولكن رحمة الله وسعت كل شيء وأبدلهم
من هو خيرا وأفضل لهم.

ترك كلا من إيهاب ومحمد الحاج إبراهيم أمام المقبرة
وذهبا لإحضار الجثمان وإقامة صلاة الجنازة عليه بالمسجد
المقابل لبوابة المقابر، ساعات قليلة وانتهى كل شيء وأغلق
العامل المقبرة وأغلق باب المدفن، ولكن بقلوب كل فرد من
عائلة إبراهيم الخولي جرح لم يغلق بعد.

بقيت رغد بجوار الفتاتين فاليوم أصعب أيام حياتهما ودعا
والدتهما وحضنهما الدافئ لم يكن خروجها محاطة بتلك
القماشات البيضاء المدعاة بالكفن بهين عليهما ولكن
استطاعوا السيطرة على سما عن طرق حقنها بالمخدر من خلال
أنبوب المحاليل الطبية المتصل بجسدها، أما الأخت الكبرى
والتي تتوالى عليها الصدمات لم تستطع رغد ولا جميع السيدات
العاملات بالمشفى تهدئتها من النوبة الهستيرية التي اعترتها

فكم صرخت وارتجف جسدها متأثراً بشهقاتها المرتفعه
مشددة من احتضانها لوالدتها صائحة بأعلى صوتها حتى تقطعت
أحبالها الصوتية:

— أمييييييييييي، سييوها محدش يلمسها ، لا يا محمد ، سيي
ماما.

ظلت تنكزه بجسده

— سيي ماما ، أمك مش بتحب حد يلمسها خلي الرجاله دي
تسيبها.

آهات وصرخات ملأت الجدران أبكت الحاضرين استطاع
محمد بالكاد تخليص جثمان والدته من يدي أخته.

مرت عدة على وفاة الأم.....

أصبح البيت خالي من الحياه ، الأب يجلس على تلك الأريكة
ينظر لل فراغ حوله ، فكم شاركته زوجته الجلوس عليها وتناولت
معه كوب الشاي وهي تهون عليه متاعب الحياه ، يرى طيفها
أمامه يستشعر أنفاسها حوله ، لا يعلم كيف يواجه مصائبه ،
ابنته وما حدث لها ، فقدته رفيقة عمره ، هذا بالإضافة لصدمته
في إخوته الذين لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء السؤال بعد ما
فعلوه.

قطع عليه صمته صوت ولده محمد :

— بابا النهارده سما هتخرج من المستشفى وأنا هنزل أجبها
هي وهبة لكن أنا عاوز أتكلم معاك قبل متيجي.

استفهم إبراهيم :

– خير يابني عايز تقول إيه؟

رد محمد بحيرة:

– عايز أعرف هنتصرف ازاى في اللي حصل لسمما هنتقدم
بلاغ ولا هندور عاللي عمل كده فيها ونأخذ بالتأثر منه.

جاء رد إبراهيم بقلة حيلته:

– هو إحنا نعرف مين يابني اللي عمل كده ؟!!

رد محمد بشك:

– أنا شاكك في الراجل اللي اتصل واحنا في المستشفى.
إبراهيم نافضا رأسه وكأنه يبعد عنها تلك الأفكار السيئة:

– راجل مين يا محمد هو فيه حد كلمك ؟

محمد وقد تفهم موقف والده وأنه كان فاقدا لوعيه وقت أن
آتاهم ذلك الاتصال:

– آه يابابا فيه واحد اتصل يسأل عليها وكأنه عارف حاجه
وده اللي شككني فيه.

اعتدل إبراهيم في جلسته وفطن لكلام ولده ظاناً بابنته
السوء:

– تفتكر يا محمد أختك تعرفه أو على علاقه بيه وإلا بتحبه
زي بنات اليومين دول.

رفض محمد أن تحتل هذه الفكرة عقله هو الآخر فهو يعرف
أخلاق سمما جيداً ، أيشك بصغيرته؟!!

استيقظ عقله الباطن وبالأحرى ضميره:

_ لا لا يا محمد مش ممكن سما تعمل كده.

ثم يراوده عقله..

_ وليه لا هي مش بنت في سن مرافقه، تكون واحده من زميلاتنا ضحكت عليها انتفض واقفا من جلسته محدثا أبيه:

_ أنا نازل أجبههم وآجي ولما أرجع ليا كلام معاها ونعرف الحكاية كلها.

ذهب إلى المشفى عابس الوجه، فسما لم تتنطق أو تتحدث عن ما حدث، فهو الآن يزيد من ظلم تلك الملاك المتجسد في أخته البريئة، لم يعر اهتماما لمشاعر أختيه، ولم يراعي حزنهما، حادثهما بطريقة جافة خالية من الحنان أو الاحتواء المعتاد من أخيهما الحبيب موجها حديثه لهبة متجاهلا بنظراته سما:

_ خلصتي ياهبة وجهزتي اختك وحضرتي الشنطة.

أجابته هبة وقد ملأت الأحزان نبرتها وذبل وجهها المشرق:

_ خلاص يا محمد هنرجع البيت، وماما مش فيه.

ولم تستطع كبح دموعها التي سالت على وجنتيها والتي جعلت قلب أخيها يلين مرة أخرى ويعود لطبيعته معهما فاقترب محتضنا لها يبيها حنانه، وما أن وقعت عيناه على سما وجدها شاردة بالفراغ أمامها متجمدة الملامح والشعور، فهو توقع بكائها بمجرد ذكر أخته لوالدتهم، ولكنه رأى العكس فهي أصبحت كالمغيبة عن الواقع أمسك بكف أخته الكبرى واقترب من السرير الجالس عليه سما مناديا لها:

_ سما... ياسما... سما إنتي سمعاني؟

امتدت يداه ليحرك جسدها ولم يجد منها غير نظرات من
عينين متسعيتين يملؤها الحزن والغضب فتحدثت له هبة:
_ هي على كده من يوم وفاة ماما واللي جرالها ودايما يا نايمة
بالمهدئات زي مشقتها يا قاعدة كده وبتبص بعنيها وبس.
زفر محمد أنفاسه وأمسك بيدها وباليه الأخرى متمسكا
بأخته هبة وكأنه يخاف عليهما حتى وإن كانا بصحبته خرجوا
من المشفى متجهين لمنزلهم.



سئم مراد ومل حياته داخل السيارة، حادث والدته حتى تلين
من قلب والده فهي من تقف جواره دائماً وتتصدى لزوجها حينما
يعترض على أسلوب حياته، انتظر حتى موعد صلاة العشاء
على أحر من الجمر فهو على يقين تام بأن والده يذهب لإقامة
الصلاة بالمسجد وهذا هو الوقت المناسب ليستجدي عطف
والدته، وعندما استمع لصوت المؤذن من خلال مكبرات الصوت
للمسجد القريب له أمسك بهاتفه وضغط على رقم المنزل حتى
أتاه صوتها الحزين على فراقه:

_ السلام عليكم.

أجاب بلهفة:

_ وعليكم السلام يا أمي.

وما ان استمعت إلى صوته حتى ارتجف جسدها وذرفت
دموعها..

فسأل مراد:

— أمي سمعاني.

أجابته الام بلهفة وحنين:

— حبيبي يابني وحشتني يا ابن عمري طمني عليك بتآكل
إزاي؟ بتنام فين يا مراد؟ مين بيغسلك هدمتك؟ طمني عليك
ياضنايا.

لم يستطيع مراد الإجابة على أسئلة والدته المتلاحقة فحتى
هو بعد أن استمع لتلهف والدته عليه ذرف الدموع وعلت شهقاته،
لام نفسه ونزواته التي جعلته مشردا بالشوارع وجعلت من والدته
أم ملهوفة على ولدها.

وما أن شعرت والدته بأنفاسه وبكائه استجمعت شجاعتها
وضج النبض الصعيدي بها:

— مراد تعالي يا بني وأنا هتصرف مع أبوك تعالي يا مراد
وأنا هاقف له إن شاء الله يطردني، أنا مش هقععد هنا دقيقة من
غيرك حياتي ملهاش معنى وانت بعيد يابن ضهري.

رد مراد:

— آجي ازاي ياماما وانت عارفه كلام أبويا سيف، وده عرض
وشرف، ومش هيرجع في كلمته أبدا، بس أنا مش عارف أعمل
حاجه ولا قادر أروح لأهلها، هيقتلوني يا أمي.

ارتعبت الام فور سماعها ذكره لكلمة القتل فلم لا فقد
أطاح بشرف ابنتهم وكثيرا ما حدث وقتل المغتصب وهنا لم
تغير كلام زوجها اهتمام أسيموت فلذة كبدها ؟، لم يهمها إن
اخطأ أم لا ...

فمرادها اللذي أنجبته بعد عشرة أعوام من الزواج بدون أبناء
ستفقدته الآن، إن أخطأ فليصح خطأه وستذهب هي لأهل الفتاه
وتزوجها له لن تسمح لأحد بان يسلبها أعز ما تملك حتى وإن
سلب ابنة الناس شرفها وحياتها وحياء والدتها.

أصبحت تبكي ووليدها يبكي مثلها إلى أن حسمت قرارها
وجلت صوتها محدثة إياه:

— إنت عرفت أي معلومات عنها يا مراد.... عنوانها أوتليفونها
أوبنت مين.

مراد وقد انتبه لتغير نبرة والدته:

— ليه يا أمي عوزاها ليه.

ردت سريعا والدته:

— عاوزه أروح أخطبها ليك وأجوزها لك، إنت غلطت وتشيل
غلطتك وده إللي هتقدر عليه لكن يقتلوك، ده أنا أموت يا ابني،
ليها عندنا جواز وإشهار وعيشه كريمه أي بنت تتمنهاها.

رد مراد:

— أنا معرفتش أجيب غير رقم والدها من تليفونها اللي كان
واقع في عربيتي يوم الليلة المشؤومه.

أردفت والدته:

— هاتلي التليفون وتعالى على البيت.

أجابها مستفهما:

والحاج هيعمل فيا إيه؟.

ردت والدته سريعاً :

— نار أبوك ولاجنة الشارع ولا أهلها ، تعالى وأنا هتصرف.
أغلق مراد الاتصال وأدار محرك سيارته متجهاً لمنزل عائلته ،
تاركاً التصرف لوالدته.



الفصل السادس

إلى منزل إبراهيم الخولي عاد الإخوة الثلاثة لمنزلهم ، الذي بات بدون حياة فأين والدتهم الحنونة التي اعتادوا مقابلتها لهم بكلمات الترحاب و الحمد و الشكر لله على عودتهم سالمين ، و انتظارها بدون أن تتذوق الطعام حتى تتناوله معهم ، كم سيفتقدونها ، كيف سيتعايشون مع عدم وجودها ؟ ، فكرة في حد ذاتها غير متقبلة و لكنه أمر الله فهل لنا بأنفسنا شيء .

انهمرت دموعهم كالشلال ، حتى سما اختفت من وجهها علامات التبلد و الجمود وتحولت نظراتها إلى الحزن و القهر معلنة عن اشتعال نوبه هستيريه تحتل جسدها بأكمله صارخة :
— ماما سبتيني و رحتي فين يا ماما ، أنا مش عاوزة أعيش من غيرك .

ظلت تركض بخطوات عابثة باحثة عن والدتها بجميع غرف المنزل ، تضغط بيدها على مقبض كل باب مغلق لتفتحه و تدور بحثاً داخل الغرف ، لم يستطع والدها ولا أخيها و أختها الإمساك بها فكانت تتلوى بجسدها بين أيديهم ، و تهرب منهم لتبحث بغرفة أخرى ، إلى أن أنهت جميع غرف المنزل و عادت إلى غرفتها هزيلة الجسد و الروح ، يائسة أن تجدها ، تشهق بشدة و تنهمر دموعها ، حتى أغرقت و سادتها التي احتضنتها بمجرد وصولها إلى سريرها بالغرفة التي تشاركها بها أختها هبة و التي

تبعتهما بدخول الغرفة، أما والدها وأخاها ظللاً بالخارج ينظر كل منهما للآخر، لا يعرف كيف يتعامل مع حالة سما ولا يعلمان ما ينبغي فعله بالوقت الحالي فلا بد أن يعلم أهل الحي عن وفاة والدتهم و يقيموا العزاء.

فبدأ محمد الحديث مع والده قائلاً:

— دلوقتي يا بابا احنا اختفينا من وقت اللي حصل لسما، ودفنا ماما من غير ما حد يعرف من الجيران وأكيد هيسألوا عنها، ولو قولنا إنها اتوفت هنا طبيعي الناس هتستغرب و تقول ليه مبلغتوناش و كنا و قفنا معاكوا، و مش هنخلص. فأجابه والده:

— و إحنا يا بني كنا فايقين لحاجه كفاية مصيبتنا. فرد محمد:

— الناس مش هينفع تعرف موضوع سما يا بابا إلا إذا كنت قررت نأخذ بطارنا و نرفع رأسنا. انتفض إبراهيم رافضاً حديث ولده فهو لا يريد فقده هو الآخر:

— لا يا محمد إعمل أى حاجه غير إنك تقتل يابني، أنا مقدرش أعيش من غيرك، تفتكر مين هيكون فضهر إخوانك البنات، أنا خلاص يعالم باقى في عمري أد إيه و إنت اللي باقيلهم. ربت محمد على كتف والده بحب:

— ربنا يحفظك يا بابا و يديك الصحة و طولة العمر.

نظر إبراهيم لمحمد بحنان:

— العمر بايد ربنا يابني، بس أنا حاسس إنني مش هقدر أكمل من غير والدتك.

أفزعت فكرة فقد الوالد محمد فاعترض:

— لا يا بابا لازم تقوى و ترمي حمولك على ربنا، احنا كلنا محتاجينك، حتى أنا.

— و نعم بالله يا ابني المهم قللي إنت عاوز تعمل إيه ؟.

رد محمد شارحا ما يدور بعقله:

— أنا هبلغ في المسجد إننا هنستقبل عزاء أمي بعد صلاة العشاء، هنا في البيت للسيدات و هعمل صوان، هاكلهم محل الفراشة عليّة، يكون للرجال، و هنعرف الكل إن أمي كانت في زيارة لأهلها و اتوفت هناك و سافرنا دفناها و رجعنا و دا سبب تعب سما و غيابنا عن الناس الفترة اللي فاتت، و أنا هنبه على البنات يقولوا نفس الكلام للسيدات اللي هتيجي و إنت عارف يا حاج الستات طبعها وكلامها.

قال إبراهيم معقبا على ترتيبات محمد:

— هو مش واجب يا بني تكلم المستشار إيهاب و زوجته نشكرهم، و نعرفهم إن سما رجعت البيت، الناس جمايلهم كترت أوي علينا، و الست رغد بتروح كل يوم و احتمال كمان شويه تتطلع على المستشفى تزورهم.

رد محمد ليطمئنه:

— لاء، اتطمئن يا حاج هي عارفه إنها هتخرج النهاردة، لكن هكلهم كمان شويه أشكرهم و آخد رأي إيهاب بيه في

الموضوع دا ، الراجل دا فعلا و نعم الرجال و عقله و حكمته مش موجوده اليومين دول.

وافقه و الده الرأي و خفض رأسه أرضا حينما تذكر خذلان أخيه له أمام محمد و إيهاب و أمام نفسه قبلهما ، شعر محمد بقهر و الده و فضل تركه بمفرده و ذهب ليخبر أخته بما استقر عليه من ترتيب للأمور.

دق باب الغرفة حتى سمع إجابة هبة فدخل ليجد سما مستلقية على السرير محتضنة و سادتها المبتله إثر دموعها ، شاردة بعالم آخر فنظر لهبة قائلاً :

– حبيبتي إحنا لازم نعمل عزا لماما عشان الجيران يعرفوا.

هبة بأسى وبكاء :

– هنعمل عزاء بعد وفاتها بكذا يوم يا محمد.

فسرد لها أخوها ما يريد قوله و فعله و ما سبق أن وافق عليه و الده فوافقه الرأي هي الأخرى و اطمأنت أكثر حينما علمت بأنه سيحدث إيهاب و رغد فهي بالأيام السابقة اقتربت من رغد ، و ربما تكون هي الوحيد الذي استطاعت جعلها متماسكة هكذا ، بحكمتها و حديثها الدائم معها عن قيمتها لدى عائلتها الآن ، و لا بد من تماسكها لتكون عوضا عن الدتها حتى تطمئن روحها بمثواها و عليها أن تفعل ما بوسعها الآن من أجل حماية أختها مما يتوقع أن يفعله والدها بها.

ذهب محمد تاركا أخته ، إحداهما تراعي أمور المنزل محاولة استجماع قوتها ، و الأخرى نائمة بفعل العقاقير الطبية

المهدئة التي أعطتها لها أختها كما أمر الطبيب حتى تتجاوز هذه المحنة، أعددت هبة الطعام كما رتبت المنزل وقامت برص المقاعد التي أتى بها محمد، وبالمساء علت أصوات مكبرات الصوت بتلاوة القرآن الكريم وفتح باب المنزل على مصراعية لاستقبال المعزين من النساء، كما وقف محمد بجوار والده داخل الصوان لاستقبال الرجال وتقبل عزاء والدته، وكان أول المعزين إيهاب وزوجته بصحبة ابنيهما، هذان الشابان الرائعان خلقا وجمالا اللذان حينما علما بذهاب والديهما لتقديم واجب العزاء، أصر أن يشاركما هذا الواجب لمجرد أن المتوفاه إحدى معارف والدتهم، ولما لا يكونا بهذه الأخلاق الحميدة فهما أبناء تلك المرأة الودودة الحنونة وزوجها الخلق، فهذا الشبل من ذاك الأسد صافح إيهاب ونجله رامين ورايان كلا من محمد ووالده مقدمين لهما التعازي بعد أن قام إيهاب بتعريف كل منهم للآخر وصعدت رغد إلى حيث مجلس النساء لتستقبلها هبة وتعرفها على سيدات العقار والحي.

انتهى العزاء وانفض الصوان وبدأ الرجال بازالتهم وطلب إيهاب من محمد أن يخبر زوجته لتتزل ليغادروا ولكن محمد ووالده رفضا بشدة وأصر على اصطحابه ونجله إلى منزلهم وافق إيهاب وصعدوا جميعهم، دلف محمد أولا ليتأكد من خلو المكان ولكي يعطي أخته وقتها لاستقبال من معهم، بحث عن هبة فلم يجدها ببهو المنزل ولكنه وجد باب غرفتها موصود فذهب إليها مصدرا صوتا بحنجرتة (احم احم) ثم دق باب الغرفة فأتاه صوتها:

— تعالَى يا محمد ادخل.

ليجد كل من هبة ورغد تجلسان بجوار سما فمد يده لرغد
مصافحا :

— سلام عليكم مدام رغد.

— و عليكم السلام، إزيك يا محمد.

— الحمد لله بخير.

— البقاء لله و حده ربنا يصبر قلوبكم يا بني.

تساءلت هبة :

— هو الصوان خلص يا محمد؟

— أيوا خلص و سيادة المستشار معانا هنا برا، بعد إذذك
إعمليلنا قهوة ياهبة.

رغد مندهشه :

— إيهاب و الولاد برا؟!!

— أيوا أصرينا عليهم يطلعوا شويه معانا، محتاج أتكلم مع
إيهاب بيه شوية و محتاج حضرتك كمان.

فنزطرت رغد لسما الجالسة على سريرها و دموعها تنهمر
على خديها، بعد حديث رغد معها ومحاولتها إعادتها إلى حياتها
ودراستها مرة أخرى و ربطت على يديها قائلة :

— أنا هاخرج أقعد برا شوية، متيجي يا سما تتعرفي على
جوزي وولادي.

زاغت عيون سما باعتذار لرغد وكأنها تقول لها لا أستطيع

مواجهة البشر، وتفهمت رغد حديث عيناها.

فأجابتها مطمئنة:

– تعالي يا حبيبتي إيهاب زوجي زي باباكي، وأولادي
فاعتبريهم زي محمد أخوكي بالظبط، هيكونوا في ضهرك
دايما، وصدقيني عمر ما كلمة من اللي حصل هتطلع منهم
لمخلوق.

تدخلت هبة بالحديث قائلة:

– تعالي ياسما حتى سلمي على عمي إيهاب واشكرية، ده
عمل حاجات كتير أوي علشان ماما.
اعترضت رغد:

– لا يا هبة يا بنتي، أنا عوزاها تخرج تتعرف عليه مش علشان
تشكرة، وإلا إنتوا لسه مش معتبرينا أهلكم وإلا إيه.
أجابها محمد سريعا:

– لا طبعا، ده اللي حضراتكم عملتوه معانا عمرنا ما شفناه
من حد من أهلنا، ده شرف لينا معرفتكم.
هزت رغد رأسها يمينا ويسارا:

– لا يا محمد إنتوا إللي ناس طيبين، وزي مايقولوا الطيور
على أشكالها تقع وإحنا إتقابلنا علشان نشبه بعض.

لم يستطع أيا من محمد أو هبة الرد على تلك الكلمات
الرائعة، أما سما فقامت من جلستها ملقية بنفسها في حضن
رغد تستمد منها الحنان الذي افتقدته ب وفاة والدتها، فضمتها
رغد ثم فتحت ذراعيها مشيرة لهبة حتى تشاركهم هذا الدفء

و كأنها تقول لهم (أنا مكان والدتكما وبجانبكما وقتما تحتاجونني).

أثر هذا المشهد على محمد وتذكر والدته حينما كانت تفعلها وهو يشاكسها ويتهمها أنها تحبهما أكثر منه فكانت تحتضنه هو الآخر ولكن الآن لن يجد هذا الحزن الدافئ خاصتهما فقرر الخروج وترك مساحة لأختيه مع رعد.

بغرفة إستقبال الضيوف وجد محمد والده يجلس بصحبة إيهاب ونجلاه فجلس بجوار أحدهما مرحبا به:

— أهلا بكم.. أنا أتشرف بمعرفتكم.

فأجابه رامين وهو الابن الأكبر لإيهاب:

— الشرف لنا يا أستاذ محمد، وكنت أتمنى نتقابل في ظروف أفضل من كده.

ابراهيم:

— التلاقي نصيب يا بني ويمكن ربنا دبر كل حاجه علشان نتعرف على ناس كرمه وطيبين زيكم.

وهنا خرجت رعد تساند سما و تلحقهم هبة حاملة بيدها صينية عليها أقداح القهوة وبدأت بتقديمها لهم بداية من إيهاب الجالس يمين والدها ثم والدها منتقله إلى رايان الابن الأصغر لإيهاب و رعد وأخيرا إلى رامين الذي لم ينتبه لما تقدمه له هبة ولكنه انتبه لتلك الزهرة الذابلة وهذا الحزن الظاهر في عيناها، فغض بصره سريعا وتمنى ألا يكون قد رآه أحد الجالسين ولكن نظراته لم تخفى على والدته، وبعد أن قدمت هبة للجميع

قامت بوضع الصينية فوق المنضده و جلست بجوار رعد و سما
وكان بها شيء من الحزن ما جعلها لا تنتبه لشيء، حتى ولو
كانت و سامة و جاذبية هذا الرامين.

عم الصمت لثواني حتى قطعه إيهاب موجها حديثه لسما:

_ و إنتي عامله إيه دلوقتي يا سما يابنتي ؟.

فأجابته بصوت بكاء يسمعه من يجاورها :

_ الحمد لله.

_ يارب دايمًا بخير، أنا عرفت إنك ثانويه عامه، يالا شدي
حيلك عاوزك تجيبي مجموع كبير إن شاء الله.

رد إبراهيم:

_ لا هي كده كفاية عليها و تقعد معايا، لحد ماربنا يدبر
أمرها.

اتسعت أعين الجميع من هول المفاجأة، و كان إبراهيم قد
ألقى بجملته متعمدا ليحسم الأمر.
ولكن هيهات.....

فرغذ التي أخذت على عاتقها حماية هاتان الفتاتان فلا و ألف
لا فتحدثت نائرة:

_ إزاي الكلام دا يا حاج إبراهيم !!! اسمحلي، إنت كده
بتقضي عليها، هي ذنبها إيه علشان تنهي حياتها.

ساندها محمد قائلا:

_ بابا حضرتك فاجئتني بكلامك، إزاي تقول كذا ؟! سما

لازم تكمل تعليمها ، مش هنكون إحنا والدنيا عليها .
 خجلت سما من حديثهم وتذكرت حادثتها فتبتهت و اقفة
 هاربة من أعين الجميع لداخل غرفتها ولحققتها هبة لتهديء
 من حالها ، أما بالخارج فأصبح المكان كساحة الحرب بين
 إبراهيم وقرارة و بالجهة المضادة له محمد و رغد فكل منهم
 له رأيه ، إلى أن قرر إيهاب التدخل وحل الأمر برزائته المعهودة
 موجها حديثه لإبراهيم مشيراً لزوجته ومحمد بالانتظار :
 _ فهمني و جهة نظرك يا حاج إبراهيم .

إبراهيم :

_ اسمعني يا إيهاب بيه ، إنت أب زي حالاتي و هتفهم حيرتي ،
 إزاي آامن عليها و هي بحالتها دي ، إفرض اللي عمل كدة يكون
 متربصلها ثاني وياذيها المرة دي ويقضي عليها نهائي علشان
 ماتعترفش عليه .

إيهاب بعد أن تفهم مخاوفه :

_ أنا مش هعارض كلامك ، لأن ده ممكن يحصل فعلا ، وده
 لو حصل هتكون إنت سبب فيه علشان رفضت تبلغ عن الحادثة
 من أول يوم كان زمان المباحث اتحركت و جابت الشخص
 دة ، وضمننا إنه اتحبس ، لكن إنت خوفت من الشوشرة وكلام
 الناس ، رغم إن بنتك ضحية ، ودلوقتي عاوز تكمل ظلمك ليها ، و
 تحبسها هي البريئة و تسبب الجاني عايش حياته و يمكن يكون
 ضاع بسببه حياة بنت واثنين و يمكن أكثر .

رد ابراهيم غاضبا :

_ يعني أنا بقيت السبب دلوقتي علشان خايف على بنتي من

كلام الناس و من الوحوش اللي في الدنيا على هيئة بني آدمين.
إيهاب وهو يضرب على يده:

_ أنا مش بلومك، أنا عاوز أعرفك إنك علشان تحافظ عليها
من كلام الناس ممكن لا قدر الله تخسرها هي نفسها زي
مانت فكرت... فإحنا دلوقتي مقدمناش غير إننا نسيبها على
الله والثانويه العامه بيذاكروا في البيت، ولو عندها مجموعات
خصوصية محمد أوجد من إخوانها رامين أو ريان يوصلوها في
سكتهم ولو محدش فيهم فاضي أنا هوصلها.
قاطعته رغد قائلة:

_ ولا أي حد منكم أنا مسؤولة عنها و عن دراستها، بعد إذنك
يا حاج إبراهيم أنا هأخذ الجدول الخاص بالدروس، وهاكون
معاها آخذها وأرجعها، هي قبل ما تكون محتاجة حد يوصلها
هي محتاجة قلب يحتويها ويخرج بيها من محنتها.

ارتسمت ملامح الدهشة على وجه إبراهيم ومحمد، فمن
أين لهم بهذا الملاك القابع بجسد هذه المرأة، أيعقل أن يكون
بحياتها مثلها، أما إيهاب فامتلت نظراته بالفخر والحب لهذه
المرأة الحنونه التي ساندته طيلة حياته و كانت دائما وأبدا
جديرة بعشقه لها فمن منا لا يعشق قلب رحيم ودود كقلب
رغد، أما هذان الشابان الجالسان فيكفيهما أن هذه السيدة
العظيمة و الدتهما التي ورثا عنها حنانها و لين قلبها كما ورثا
الشموخ و الرجولة و المروءة من و الدهما.



بداخل غرفة سما وهبة..

حينما لحقت هبة بأختها و جدتها تبكي و تتعالى
شهقاتها ، ضمتها هبة لحضنها تالية عليها آيات من القرآن لعلها
تهديها ، و لكن سما ظلت تهذي بكلمات لا معنى لها حتى
تركبتها هبة و خرجت مسرعة لاستدعاء رغد ، ربما تستطيع أن
تفعل لها شئ و صاحت :

_ طنطر رغد ، مش عارفه سما مالها بتقول كلام غريب ، كإنه
تخاريف.

هبت رغد مسرعة بعد أن ألقت بنظراتها اللائمة على إبراهيم
بسبب ما قاله أمامها ، و ذهبت لغرفة سما محاولة تهدئتها لتفاجأ
بها فاقدة للوعي :

_ هبة هاتيلي أي برفان.

فناولتها هبة إحدى زجاجات العطور الخاصة بها و قامت رغد
بمسح المنطقة تحت أنف سما حتى تتنفسها ، دقائق و عادت سما
لوعيتها ولكنها ما زالت تهذي (أنا ماليش ذنب أنا معروفوش.....
هو السواق اللي عمل كده فيا.....أنا اترجيته يسيبني)

انتبه كل من رغد وهبة إلى ماتقولة سما ولكن ليس
وحدهما فحينما أبلغتهم هبة ما يحدث أسرع خلفهم محمد أيضا
و أصبح الآن على يقين أن أخته ضحية لسائق عابث ، كل ذنبها
أنها اختارت سيارته لإيصالها مسكنها وعليه أن يجده.

لم يكن يعلم أنه بنفس تلك اللحظات ذلك السائق يجلس مع
والدته يخططان كيف يصلان لعائلة لطلب ضحيته للزواج و

كأنه بهذا سيعوضها عن ما فقدته.



بمنزل الشيخ محمود.....

وصل مراد إلى والدته مسرعا قبل عودة والده الذي يعلم أنه يطيل في جلسة بالمسجد بعد صلاة العشاء ويجتمع بالمصلين يلقى عليهم العظات الدينية.

استقبلته أمه استقبال الفاتحين غير عابئة بفعلته الشنعاء، هلت ورحبت بمقدمه وقدمت له من المأكولات ما لذ وطاب، فلفذة كبدها كان يعيش بالأيام السابقة على المأكولات والوجبات السريعة المنتشرة بالأسواق، و لم يمر بخاطرها تلك المسكينة التي سلبها ابنها شرفها وقلب حياتها رأساً على عقب ولم تفكر في حالها.

جلست بالمقعد المقابل له على منضدة الطعام تحته على الأكل، ثم وجهت له سؤالها:

– فهمني بقى قبل ما أبوك ما يرجع، عرفت إيه عنها؟.

رد مراد و فمة ممتلىء بالطعام:

– معرفتش حاجه، غير إن في حد عندهم مات، لما لقيت تليفونها و صاحبته كانت بتكلمها عرفت إن اسمها سما، اتصلت وسألت عن أبوها وفضلت أقولة عاوز أقابلك بخصوص سما وهو يقولي إنت مين لحد ما عطى التليفون لأخوها و فضل يغلط فيا تهتت و قفلت التليفون.

أغمضت عينا وفتحت الأخرى:

— طيب فين التليفون ده دلوقتي؟

— أهو معايا عوزاه ليه؟

— شوفلي كدة الأسامي المتسجلة عليه مين و مين؟

مسح مراد يده و أمسك بهاتف سما و ظل يعبث به حتى و صل
للقائمة المدون بها الأسماء ووجد بها رقم لهاتف مسجل باسم
بيتنا، وهنا وجدت الأم ضالتها وصرخت به:

— قوم بسرعه هاتلي تليفون البيت.

— هتعملي إيه؟ فهميني بس قبل ماتعملي حاجه و أبويا يقلب
علينا.

— متقلقش، أنا عارفه هعمل إيه، هكلم أمها وأروح
أزورها، دي مهما كانت أم عاوزه تستر على بنتها و هتحس بيا و
بقلبي الموجوع عليك، رغم إني زعلانه من اللي عملته وما كنتش
أتوقعه منك، لكن مقدرش أشوفك بتضيع مني وأقف أتفرج.

خفض مراد نظره أرضا باستيحاء من فعلته، فهو ندم أشد
الندم، ولكنه أيضا يخاف الموت، شعرت به و الدتة فطلبت منه
أن يسرع و يعطيها الهاتف المنزلي وبالفعل قامت بالاتصال على
الرقم المسجل.

سمع إبراهيم رنين الهاتف فاتجه صوبه ليرد:

— سلام عليكم.

— وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته.

— أيوة مين معايا؟

– أنا سعاد معرفة أم سما ممكن أكلمها؟

رد إبراهيم بنبرة يملؤها الحزن:

– أم سما تعيشي انتي يا حاجه.

شهقت سعاد:

– يا قلبي... امتي الكلام دا؟

– من كام يوم اتوفت ودفناها في البلد.

كان وقع الخبر مفاجئاً لسعاد لكنها تماكنت نفسها و

أعملت عقلها سريعاً:

– طيب أنا عاوزه آجي أعزي ولادها بس معرفش العنوان.

أملى عليها إبراهيم العنوان، و في خضم البراكين الثائرة في رأسه وقلبه لم ينتبه لتكنيتها زوجته بأمر سما مع أنها لو كانت حقاً تعرفها لكانت كنتها بأمر محمد، ولو كانت تعرفها لكان عنوان المنزل معروفاً لها، لكن ذابت تلك التساؤلات بحمم ما هو فيه ما شعور بفقد زوجته وطعن في شرفه.

أغلق سماعة الهاتف و ذهب ليجلس بجانب إيهاب.



الفصل السابع

أما والده مراد فقد نالت ما أرادت معها العنوان وعليها أن تذهب وتستوضح الأمور بنفسها لم تدم فرحتها طويلا ، فتح باب المنزل ودلف إليهم الشيخ محمود كالطوفان بعد أن رأى سيارة ولده مصطفى أمام العقار ، وبمجرد أن وقعت عينيه عليه سيطر على مراد الفزع من والده بعد أن رأى وجهه لا ينبأ بالخير ، و لكن كعادتها انبرت سعاد للدفاع عن مراد كالنمرة الشرسة ووقفت أمامه تحيل بين جسد ولدها ووالده رافعه ذراعيها تمنع وصوله إليه صارخة به :

— استحلفك بالله يا محمود ماتمدش إيدك عليه ولو قربت من ابني يبقى إنت اللي بعت عشرة السنين و هارجع النهاردة دوار أبويا.

كان وقع كلماتها على أذنيه صادما فلأول مرة منذ أن تزوجا من أكثر من سبع وثلاثون عاما تنطق بمثل هذه الكلمات ، وقف حائرا أيجب عليه الآن أن يتخذ موقفا حيال ما فعله ولده من مخالفة لتعاليم الدين والشرع أم عليه أن يترك تلك الزوجة التي ساندته عمرة بأكمله وتحملت معه الكثير والكثير فصاح بها :

— أنتى اتجنيتي يا سعاد عاوز تسيبيني علشان ابنك إلكي ظلم بنات الناس ، ابنك إلكي خسر دينه ودينته.

سعاد محاولة تهدئته واسترضاءه:

— هنعلمها ياخويا و الله، بأمر الله، وهعلمها بكرة إن كان ليا
عمر هروح لأهلها و أخطبها له وأعملها احسن فرح.

— وهيعيشوا فين و ابنك معندوش شقه؟

— يعيشوا معانا مالبيت كبير... أنا هروح لأهلها الأول
لو حدي، و بعد كده نروح أنا و إنت وهو يلبسها شبكة، و هنبيع
باقي حته الأرض ورثي من أبويا وأجيلها كل اللي تشاور عليه،
هراضيا وأفرحها و هكون لها أم بدل أمها الله يرحمها.

هز رأسه بأسى:

— لا حول و لا قوة إلا بالله، هي البنت يتيمه كمان، منك لله يا
مراد يابني... ربنا ينتقم منك.

— خلاص بقا ماتدعش عليه و بعدين هي أمها لسه ميتة من
كام يوم في بلدهم.

رد غاضبا:

— تلاقيها ماتت من قهرتها على بنتها، يعني بقى في رقبتك
ذنوب أمها كمان و تفتكري هيرضوا بابنك ده، مش بعيد
يطلبولك البوليس.

ردت بثقة:

— لامتقلقش عليا، أنا هعرف اتصرف.

ظل محمود يضرب كفا على كف ويردد:

— لا حول و لا قوة إلا بالله... اللهم أجرنى في مصيبتى... اللهم

أجرني في مصيبتى.

وتركهما وانفرد بنفسه يقرأ بالمصحف الشريف لعله يطفىء
نار قلبه في فعله و لده ودفاع زوجته عنه.



بمنزل إبراهيم الخولي

بعد أن هدئت سما و استطاعت رغد إقناعها بتناول العقاقير
الطبية وذهبت في سبات عميق على إثرها ، كل من هبة و
رغد خرجتا إلي بهو المنزل ليشاركا الجميع حديثهم بعد أن
استطاعوا معرفة بعضا مما حدث فوجهت رغد حديثها إلى
زوجها إيهاب:

— من كلام سما إن السواق اللي ركبت معاه هو اللي عمل
كده ، ماتقدرش تعرف عن طريق الكاميرات رقم العربيه مثلا
و حد من معارفك في المرور يجييلنا بياناته.

تساءل إيهاب:

— و بالنسبه للكاميرات دي هنعرفها ازاي ؟ .. ما فيش حد فينا
يعرف المكان اللي ركبت منه سما.

أجاب محمد سريعا:

— هي كانت في درس في شارع وأكيد ركبت من أول
الطريق.

نبهتهم هبة:

— بس هو مش تفريغ الكاميرات ده محتاج تصريح نيابة

وكده هنضطر نعمل محضر.

انتفض والدهم فور أن سمع بحديث هبه عن معرفة الشرطه و
التحقيق بما حدث صارخا:

— لا قولنا مش عاوزين نبليغ.. مش عاوزين فضايح.
إيهاب مهدئاً:

— إهدى بس، إنت عارف إني عامل اتصالاتي وضبطت
موضوع النيايه و البلاغ بعلاقتي وفعلا المفروض يكون تفريغ
الكاميرات بإذن نيايه لكن طبعا إحنا هنحاول نمشيها ودي مع
أصحاب المحلات اللي في المنطقة و نأخذ رقم العرييه ويحلها
ربنا.

قالت رغد:

— عموما استتوا يومين كمان و أنا هحاول آخد سما و أخرج
ونروح المكان اللي كان فيه الدرس ونشوف رد فعلها هناك
هيكون إيه.

صدق محمد على فكرتها:

— فعلا هي ممكن تفكر حاجات أكثر وتقولها وده يقربنا
أكثر من هدفنا.

وافقهم إيهاب:

— على خيرة الله.. يبقى كده اتفقنا و إنت يا حاج إبراهيم
متقلقش على بناتك هما مع أمهم الثانيه.

ربت إبراهيم على كتف إيهاب:

– ربنا يباركلنا فيكم إيهاب بيه ويحفظكم وأولادكم...
كل يوم جمالك بتزيد عليا وعلى أولادي.

كان رامين و رايان يستمعان للحديث ملتزمين الصمت.

أحاط إيهاب إبراهيم بذراعه:

– أولا بلاش إيهاب بيه دي، إنت زي أخويا تقولي يا إيهاب و
لو ثقيله عليك قول يا أبو رامين و إنت يامحمد اسمي عمي إيهاب
ثم نظر لهبة ماشي يا آنسة هبة.

أجابة الجميع بالموافقه مرحبين بعلاقتهم بهذه العائله
الكريمة خلقا، استأذن إيهاب بالانصراف واحتضنت رغد هبة
مطمئنة لها واعدة إياها أنها ستكون معها غدا و لن تتركها
وحدها.

عاد إيهاب و عائلته إلى منزلهم و لم يفت على رغد نظرات
ولدها الأكبر الذي لم يتحدث طيلة الوقت و ذهب لعالم آخر فور
رؤيته لهبة، حتى أنه لم يقدم لهم يد العون أثناء تدهور حالة سما
بالرغم من عمله كطبيب وهي تعلم جيدا أن و لدها يساعد أي
إنسان، و لكنه اليوم لم يحاول التدخل، ولا تعلم لماذا؟ فقررت
مراوغته بمشاكسة متسائلة:

– قولي يارامين صحيح إنت ماقومتش أو عرضت مساعدتك
وقت ما سما تعبت... يعني الناس عمالين يقولوا نجيب دكتور
وإنت كأنك سبيت الطب خالص.

احمر وجه رامين خجلا حينما تيقن أن و الدته كشفت أمر
نظراته لتلك الزهرة، فأجابها رايان بابتسامته تشق وجهه والذي

كشفت أمر أخيه أيضاً:

– هيقوم إزاي يا ست الكل هو كان مشغول بيفكر في مريضه تانيه.

نظرت رعد لولدها الأكبر لتجده سيشتل غضبا فحاولت معالجة الموقف وتغير مسار الحديث قائلة:

– يلا مش مهم، المهم ادخلوا غيروا لبسكم علشان نتعشى و بابا ينام عنده محكمه الصبح.

إيهاب و قد ظهرت عليه علامات الاستياء من حديثهم:

– بابا مستتي تخلصوا الكوميديا السوداء اللي بتقدموها، والله عيب عليكم يعني إحنا راجعين من عزا و الناس في ظروف صعبة و انتو جايين تهزروا.

خجلت رعد مما فعلت و لكنها فعلته بحسن نية فهي منذ رأت هبة و توسمت فيها الأدب و تمنيتها زوجة لولدها رامين فهي تشبهه في طباع كثيرة، هدوئها، رزانتها، أخلاقها، وزادت رغبتها حينما لاحظت إعجابه بها، أما رايان فاعتذر من والده و أسرع إلى غرفته متخفيا عن أعين والده... فدائما ما كان رايان خفيف الظل وهو من يملأ المنزل مرح و سعادته وبعكس أخيه رامين الهادئ دائما و متعته الوحيدة هي القراءة وممارسة الرياضة.

دلفت رعد خلف زوجها الحبيب فيصعب عليها غضبه من فعلتها امتدت يداها لتحمل عن جسده سترته ووضعتها بالحامل المخصص لها، تفهم هو محاولتهما لارضاءه فكيف لا يعرف و هي حب العمر وزميلة دراسته فاستدار بجسده ناظرا لها نظرة

حملت قليلا من العتاب و كثيرا من الحب فاختبأت هي بدورها
بين ذراعيه محتضنة إياه و كأنها تختبأ منه بداخله فضمها
إيهاب إليه أكثر رافعا وجهها بأنامله ليجعلها تنظر بعيناه و
ليبحر بعينيها اللتان تشبهان القهوة الذائبه والتي ورثها عنها
أبنائها.

لتبدأ هي قائلة:

_ أنا آسفه... ما كنتش أقصد أضايقك بس حبيت البنات
أوي، و اتمنتها لرامين.

إيهاب بابتسامة هادئه زينت وجهه:

_ عارف وفهمتك من أول ما بصيتي على نظرة ابنك ليها، و
عديت الموضوع لكن تخرجوه إنتِ و أخوه دي كانت صعبة
وزعلت منك فيها.

رغد و عيونها يملأها الاعتذار:

_ خلاص ياهوبا حقك عليا ولا إنت لازم تتصالح.

إيهاب بمراوغة:

_ انتي عرفاني راجل حقاني و انتي غلطتي و اللي غلط
يتعاقب و أعتقد انتي عارفه عقابك.

شبت رغد واقفه على أطراف أصابعها فهي قصيرة القامة
أمام طول إيهاب الفاره و احتضنت وجهه بكفيها مقبله إياه قبله
ناعمة رقيقه، بثت من خلالها عشقها و اعتذارها و قبلت بعقابها
وتمنت أن تعاقب كل دقيقه فإيهاب العشق والروح والحياء لقلبها
البريء النقي..

إبتسم إيهاب دليلاً عن رضاها عنها و ضمها لصدره مداعباً لها :

— أنا بقول بلاش عشا النهاردة.

رغد و قد تذكرت ابنيها و أمر العشاء فخرجت من بين ذراعيه مسرعة لخارج الغرفة حتى تهرب من مداعباته ، فإيهابها حتى و إن غطى الشيب شعره سيظل قلبه شاباً ،
لحقها إيهاب ليجد نجلاه منتظران جالسان على منضدة الطعام.



أما بمنزل الشيخ محمود...

دلفت إليه زوجته بعد أن اطمأنت أنه رضى لرغبتها و سيبقى ابنها بالمنزل ، لتجده ما زال يتلو آيات القرآن الكريم فجلست بجواره ولكنه لم ينتهي فانتظرت حتى وصل لنهاية الآية القرآنية و هممت بقول (صدق الله العظيم) فنظر لها بطرف عينه و أغلق المصحف الشريف و وضعه فوق المنضدة و قام من جلسته لتمسك هي بيده قائلة :

— إيه يا أبو مراد !! إنت زعلان مني و إلا إيه ؟.

محمود و قد احتدت ملامحه و ظهرت عليه علامات الغضب :

— أنا سيبتك تعملي اللي انتي عوزاه و تدلعي ابنك و تضيعيه أكثر ما ضاع لكن تيجي على بنت الناس اللي اتظلمت دي ، أنا اللي هرجعك بنفسى دوار أبوكي و أعرف إخوانك بعملة ابنك

ومن انهاردة شوفي ليا مكان ثاني أنام فيه.

ضربت بيدها على صدرها :

_ يا محمود بعد العمر ده هتفارقني، ده انت عمرك ما عملتها .. هو ده اللي الرسول عليه الصلاه و السلام كان بيعمله مع زوجاته.

رفع محمود حاجبيه: هو ده كلام ربنا تأديكم بهجر المضجع، ماهو لو أنا من الرجاله اللي ممكن تمد ايدها على حريمها كنت زمني مكسر عظامك انتي و ابنك.

فتحت سعاد عينيها على اتساعهما :

_ هي حصلت يا محمود تضربني كمان.

رد بهدوء:

_ عرفتني بقى إن هجرك هو أفضل عقاب، و إعرفي انتي و ابنك لو البنث دي رفضته أنا بنفسي اللي هسلمه للنياه، ولو وافقت مغصوبه ابنك مش هيلمسها غير برضاها.

ردت باستنكار:

_ إيه اللي بتقوله ده يا شيخ محمود هتمنع شرع ربنا، وتمنعه من حقه في مراته، ده حتى انت حافظ كتاب الله.

_ لو البنث مغصوبة بيقى زواج مكروه وحرام شرعا.

ردت تُمني نفسها:

_ إن شاء الله توافق... سييها على الله انت بس.

ضرب محمود بكفيه على رأسه من تلك السيده الغنيده التي

لا تستوعب الموقف، وكل ما يهمها هو إنقاذ ابنها فقرر ألا يجلس معها ويتركها وحدها لعلها تستعيد عقلها فدائماً ما كانت رزينة حنونه إلا عندما يتعلق الأمر بولدها فتتحول لنمرة جائعة.

أما هي فتركته يذهب كما يشاء فعليها أن تنهي أمر زواج نجلها من ضحيته، ثم تتفرغ لارضائه

فهو زوجها وابن عمها، هو من تربت على يده، ولكن دائماً ما كان يغلب عليها طباع المرأة الصعيدية من قوة وشجاعة وهي بالأخير أم، ومهما اختلفت الطبائع فالأم تحمي أبنائها حتى وإن كانت هرة.

مر الليل على الجميع كل منهم يفكر بحاله الآن، أما هذا العاشق من أول نظرة فيراها بكل مكان حوله ظل ليلته يتقلب على جمر النار، يتألم لعيونها الذابله، يتمنى أن يكتبها الله على اسمه حتى يمحي عنها كل ما مرت به من الألم، فهو سيكرس حياته ليداوي جراحها، عقد العزم أن يحادث والده في الصباح فهو لن يخلف ثقته حينما أدخله والدها منزله فسيدخل البيوت من أبوابها، كم تمنى أن تبادله إعجابه بها بالوقت الحالي، حتى تكون حلاله، وآنذاك سيجعلها تهيم به عشقا، قاطع جلسته مع نفسه دخول والدته إلى الغرفة بعد أن شعرت بحركته ليلا متسائله بقلق:

ـ مالك يارامين؟ إيه اللي مصحيك لدلوقت؟ معندكش شغل الصبح؟!!

— عادي، طبعاً، ياماما عندي شغل هي المستشفيات
الاستثمارية بترحم يا أمي.

قالت مبتسمة وهي تقترب منه و تربت على كتفه :

— طيب إيه اللي قالقك كده ؟ تكون زعلت مني أنا وأخوك.
رامين بابتسامه لها :

— ياماما ماقدرش أزعل من حضرتك، ورايان ده حبيبي
لوما عملش كده أنا هستغرب.

ضحكت :

— طيب قول بقى قبل سيادة المستشار مايجي ويمسكنا
متلبسين... ها.. الموضوع فيه هبة مش كدا.

أماء رامين برأسه دليلاً على موافقته على كلام والدته
فارتسم السرور على محياها :

— هبة بنت مؤدبه و حنونه جدا و فيها كل مواصفات الزوجه
اللي اتمناهالك ده غير إنها شبهك بجد.

فهم رامين من حديث والدته أنها توافق على زواجه من هبة
فتشجع أكثر قائلاً لها :

— طيب يا رورو يا حبيبتي ماتكلميلنا سيادة المستشار في
الموضوع ده.

احتضنته رغد و الفرحه تملأ قلبها فقد تحقق حلمها وسيتزوج
ابنها الاكبر :

— بس كده يا قلبي من عيوني هكلمه الصبح أول ما

يصحى... بس نام إنت بقى و إنت مرتاح علشان فى أرواح ناس
تحت إيدك الصبح يا دكتور.

ارتاح قلبه جزئياً و رد :

– معاكي حق و الله ده أنا عندي عمليات كمان بكرة.

وقفت رغد متجهة لباب الغرفة و أرادت مداعبته :

– على فكرة يارامو هبة طالبة فى كلية العلوم.

ثم أشارت له بيدها مودعه إياه ، مغلقة باب الغرفة.

ظهرت ابتسامته الهادئة وهو يحدث نفسه ويدها تمتد ساحبة

الغطاء :

– يعنى عقلية عملية كمان فعلا يارورو شبهي أوي.

قال هذه الكلمات وذهب بسبات عميق.



الفصل الثامن

نشر قرص الشمس أشعته الذهبية معلنا بداية يوم جديد
يحمل بين طياته الكثير والكثير تملل إيهاب من نومه إثر صوت
المنبه المزعج الذي اختارته رغد خصيصة من أجل مشاكسته
يومية فهو يصدر صوت الببغاء المتحدث قائلًا:

– صباح الخير.

إيهاب وهو يضغط على زر إغلاق الصوت وينظر للنائمة
بجواره:

– صباح النور يا سيدي، أقولك إيه يعني وحببتي جيباك
تزعجني.

استيقظت رغد بابتسامتها المشرقة كقرص الشمس
لتكشف عن زوج غمازتها اللاتي يعشقهما زوجها:

– صباح الفل والورد و الياسمين على حبيبي.

– ده إيه الصباح الجميل اللي بيبدأ برضا رغد هانم على العبد
الفقير إيهاب رضوان.

رغد مصطنعة الغضب:

– كده برضة ياهوبه يعني أنا كل يوم مش بدلحك.

إيهاب وهو يداعب أنفها بيده واقفا عن السرير:

– بس انهارده بزياده شوية.

رغد وهي تلحقه:

– ماشي يا إيهاب كده، ده شغل قطط تآكل وتكرر.

ضمها بين ذراعية مبتسما على دُعابتها مقبلا لجبينها فمهما
زاد عمرها ستظل دائما وأبدا طفلته وحب عمره حتى إن كان
الفارق بينهم عامان فقط.

اجتمعت عائلة إيهاب على مائدة الطعام لتناول الفطور فرغد
لن تتنازل عن جمع عائلتها يوميا في الصباح للفطور وفي المساء
للعشاء لانشغالهم دائما وعدم توافق مواعيدهم بوجبة الغداء
سألها إيهاب:

– حبيبتي انتي هتروحي انهارة لسما ؟.

– أيوة طبعا، مش هينفع أسيب هبة تتعامل معاها لوحدها، إنت
شوفت بنفسك هي حالتها صعبة إزاي.

أماء إيهاب برأسه بمزيد من الأسى على حال تلك الفتاه و
عائلتها، ربت رغد على يده مطمئنة أنها دائما بجانبهم ولن تكل
وتمل منهم أبدا ليقطع حالة الصمت والحزن المسيطر عليهم
رايان محاولا جذب انتباههم لموضوع آخر:

– حضرتك نسيتيني خالص يارورو هانم و نسيتي تجهزيلي
الكيك اللي طلبته منك علشان زملائي في الشغل دول داوشني
عاوزين من الكيك من بتاع مامتك.

عقب إيهاب :

– يابني نفسي تقول جملة صح واحده، يعني حضرتك و رورو
في نفس الجملة فهمني إزاي.

ابتسم رايان:

— لا يا سيادة المستشار حضرتك علشان ده احترام لماما ،
لكن رورو ده علشان هي عسل وسكر ولازم تدلع
قطب إيهاب حاجبيه مصطنعا الحدة و الغضب:

— ولد إتأدب ، إيه عسل وسكر دي ، إنت هتعاكسها و أنا
موجود و إلا إيه ، مش كفاهيه سايبكم تقولوا رورو و تدلعوها .
ليشترك أخيرا بالحديث رامين الذي كان و كأنه بعالم
آخر:

— لا يا سيادة المستشار كله إلا رورو ، و إحنا ، نقول عسل
وسكر و قشطه براحتنا ، دي أمنا ولينا فيها زي حضرتك
بالضبط.

إيهاب معترضا:

— لا يا حبيبي منك ليه إنت و هو ، بكره يكون عندكم
زوجات و انتوا حريين فيهم ، لكن رغد دي بتاعتي أنا و بس ، و
بعدين يا دكتور يعني ساكت من الصبح و لما تتكلم وتشاركنا
تعارضني ، لما أشوف بعد ماتتجوز هتعمل إيه مع مراتك .

و هنا و جدت رغد فرصتها للحديث عن أمر زواجه من هبة:

— كويس أوي إنك فتحت موضوع الجواز ده بنفسك... رامين
عاوزك تطلب له إيد هبة ، إيه رأيك ؟

لم يتعجب إيهاب من حديث زوجته فقد شعر البارحة بعدم
وجودها بالفراش و توقع جلوسها مع نجلها الأكبر القريب من
قلبها لهدوءه و لكنه لا يعلم هل هي رغبته أم هي من أقنعتة فوجه

الحديث له متسائلاً:

— أنت طلبت الطلب ده على أساس إيه يارامين؟ إنت لسه حتى ماتكلمتش معاها!!.

رامين بهدوء و رزانة كعاداته و بمنتهى الرجولة:

— وهو ينفع أتكلم معاها من غير رضا أهلها بعد ما دخلت بينهم و أنا ابن المستشار إيهاب واللي قالها إمبراح إنه عمها... أنا طلبت اتقدم بشكل رسمي، ووقتها لينا حق الرؤية الشرعية. حالة من الفخر و الفرحة غمرت كلا من إيهاب ورغد فقد جنيا ثمرة كفاحهما و تربيتهما وأخرجنا للمجتمع رجلا صالحا يحترم دينه و تقاليد مجتمعه الشرقي.

نظرا لبعضهما برضاء تام و قال إيهاب:

— أنا موافق طبعاً يا حبيبي، لكن شايف إن الوقت مش مناسب، هما حالياً في حالة حداد وما يصحش أفاتحهم في أمور زواج.

وافقه الرأي و كذلك زوجته وأخيه وقرروا الانتظار حتى تنتهي أيام الحداد.

خرج كل منهم متجها لعمله وقامت رغد بإنهاء أعمال منزلها ثم ذهبت إلى منزل عائلة إبراهيم.



أما بمنزل الشيخ محمود فقد أعدت زوجته الطعام، و جهزت نفسها للذهاب لمنزل عائلة سما ومواجهتهم وليحدث ما يحدث،

لم تبالي إن رفض زوجها تناول الطعام معها و ابنها على نفس المائدة وتناوله بمفرده داخل الغرفة التي خصصها لنفسه، انتهت من طعامها وإطعام فلذة كبدها و ارتدت الملابس السوداء و ذهبت لتقديم واجب العزاء.

وصلت إلى منزل إبراهيم الخولي بناءً على العنوان المدون معها بتلك الورقة فقد رفضت اصطحاب نجلها معها كي لا يصيبه مكروه، طرقت باب المنزل و انتظرت الإجابة دقيقتان حتى فتح باب المنزل ووجدت أمامها سيدة يظهر عليها الرقي و حسن المظهر، ترددت ثواني تحاول توقع من تكون هذه السيدة إلى أن نبهتها رغد بحديثها:

– اتفضلي يا مدام مش حضرتك جاية تعزي، هبة جوه.

ثم أشارت لها بالدخول لغرفة الاستقبال، حتى تنتهي هبة من استحمامها، فلم تستطع ترك أختها وحدها إلى أن حضرت رغد، فوالدها و أخيها ذهباً لعملهما و تركاها مع سما بمفردها وارتعبت أن تتركها وحدها فتؤذي نفسها بشيء.

استأذنت رغد من السيدة الجالسة التي لا تعلم من تكون، حتى تخبر هبة بمجيئها فوجدتها قد انتهت و ارتدت ثيابها:

– هبة حبيبتي في و احده بره جاية تعزي.

– مين دي يا طنط؟ احنا جيراننا و معارفنا كلهم عزونا إمبراح.

– طيب تعالي نشوف هي مين؟

ذهباً معاً حيث غرفة الاستقبال و عندما دلفت هبة ظلت تتظر

إلى السيدة الجالسة ولكنها لم تتعرف عليها ، حتى السيدة نفسها قامت بتقديم واجب العزاء وجلست صامته منتظرة كي تعلم من هذه الفتاة والمرأة التي تلتصق بها ، إلى أن قطعت رعد الصمت متسائلة:

_ هو حضرتك من معارف المرحومه و إلا قريبتها ؟.

نظرت لها سعاد وبعد تفكير وجهت حديثها لهبة:

_ هو انتي سما؟.

أجابتها:

_ لا أنا أختها الكبيره هبة.

ثم نظرت لرعد:

_ وحضرتك قريبتهم و إلا إيه ، أصل الموضوع اللي هاتكلم فيه عائلي شويه.

نظرت لها هبة ويدها تتمسك بيد رعد:

_ أيوة طبعا ، دي أمي الثانية، ممكن نعرف مين حضرتك ؟.

أجابت سعاد:

_ أنا أم مراد.

تساءلت رعد:

_ أيوة مراد مين ؟صاحب محمد يعني.

_ لا أنا معرفش مين محمد.... بس أعرف سما.

هبة وقد زاد غضبها:

_ تعرفي سما منين؟ و مين مراد ده؟ أختي ماتعرفش حد

بالاسم ده.

حاولت سعاد تهدئتها:

— اسمعيني يا حبيبتي و انتي يا مدام انتي أكيد أم، أنا ابني غلط و لكن و الله ندمان و عمل كده وهو مش في و عيه.

احتدت ملامح كلا من رعد وهبة حينما فهما من هي تلك السيدة و أجابتها رعد صارخة:

— انتي عاوزه تقولي إنك أم الحيوان اللي عمل كده في البنت، و جايه هنا برجليكي يا جبروتك يا شيخه، انتي إيه ؟!! و تقولي لي أم، أم إيه اللي ممكن تقبل كده، انتي المفروض كنتي قدمتيه للمحاكمة بنفسك.... انتي يا ست انتي إزاي ليكي عين تتكلمي ؟!! مش ده تربيتك يعني انتي اللي دمرتي العيله دي وبتكلمي كمان، أمها اللي انتي جاية تعزي فيها بدم بارد دي ماتت من قهرتها على بنتها و هي شيفاها قدامها بتتلف وخسرت شرفها، انتي إزاي كده ؟!!!!

سعاد ودموعها تنهمر:

— أنا عارفه إنه غلطان، و الله انتوا متعرفوش و الده عمل إيه فيه ؟، ده طردوا من البيت و فضل عايش في الشارع الكام اليوم اللي فاتوا، بالله عليكم يا مدام هدي النفوس، واضح إنهم بيحبوكي خليك وسطة خير بينا، أنا هعملكم اللي انتوا عاوزينه بس ماتحرمونيش من ابني، ده وحيد بعد عشر سنين جواز قضيتهم وأنا بسعى على الخلفه، احنا صعايده والي مابتخلفش الحريم بيعيروها، وانا ابني ده متعلم و لا هو بلطجي

ولا وحش واللّه العظيم ده متعلم و تعليم عالي و حافظ كتاب اللّه، لولا أصحاب السوء بعد ما خرج من الجامعه اتلموا عليه علشان نفسيته ادمرت لما ابن العميد خد مكانه وبعد كده اشتغل سواق ولما ماهنش عليا بعث حته من أرضي وجيبتله عربيه ميكرو باص ويارتني ماجبتها حاوطوه وجروه لطريق الكيف والتعاطي لحد ما أبوه اكتشف و عالجه و حلف مايعملش كدا تاني وفي اليوم المشؤوم ده كان متضايق وصاحبه عطاء برشامه ووقت ما فاق رجع البيت حبس نفسه وفضل يبكي ويسجد لربنا يستغفره ولما أبوه عرف و اللّه العظيم طرده وقاله روح اتجوزها وهو كلم والدها لكن ما عرفش يوصله.

كانت تتحدث وهي تزداد في بكائها وتعاطفت معها رغد فهي مهما كانت أم و لكنها ترفض رفضا تاما فكرة زواجهما و أثناء حديث سعاد وصل إبراهيم للمنزل و استمع لطلبها بزواج ابنها من ابنته وهذا هو كل مايسعى إليه أن يجد من يستر على ابنته و كأنها من ارتكبت الجريمة، دق باب غرفة الاستقبال مستأذنا بالدخول فهو يجب أن ينهي الأمر قبل تدخل و لده محمد ف دلف إلى الداخل محدثا السيدة سعاد :

– فين ابنك وجوزك ياست علشان نتفق اتفاق رجاله مش هحط إيدي في إيد ست.

تهللت أسارير سعاد وكأنها وجدت طوق النجاة فأجابته :

– اجيبهم لك حالا يا حاج...لكن اديني الأمان و إنك متقربش من ابني و حياة و لادك.

رد إبراهيم بعد أن أذهل بكلماته كلا من رعد و هبة:
 _ أنا عاوز استر بنتي واحمي ابني من السجن لأنه لو شاف
 ابنك هيقتله ، لكن لو شاف جوز أخته مش هيقترب منه قدامك
 ساعة زمن يكون جوزك و ابنك و المأذون موجودين نكتب
 الكتاب وبعدها يحلها ربنا.

ردت سعاد وقد غمرتها الفرحه:

_ كل اللي تؤمر بيه هعمله علشانها هخرجها من بيتك
 عروسه و هجيلها أجمل جهاز و هعملها حفلة خطوبه كل اللي
 تؤمر بيه هيتنفذ.

و أمسكت بهاتفها الجوال و بدأت بالضغط على أزراره حتى
 أتاها صوت زوجها:
 _ السلام عليكم.

_ و عليكم السلام ياشيخ محمود ، هات مراد و تعالى عند
 بيت أهل سما و الدها عاوزك تجيب مأذون و ابنك و تيجي حالا
 يلا بسرعة يا محمود قبل أخوها مايرجع ويقتل مراد ، ده مهما
 كان مراد ابنك ياخويا سندنا و ضرنا.

_ برده نفذتي اللي في دماغك ، اقللي و أنا هجيلك أنا و
 ابنك ، وحاضر هاجيب مأذون معايا.

تجمدت رعد من شدة صدمتها و لم تعرف كيف تتصرف
 حتى تنقذ سما من قرارات و الدها المتسرة و لم تجد غير
 زوجها تلجأ له فهاافته مسرعه:

_ إيهاب تعال بسرعه أستاذ إبراهيم هيجوز سما للشاب اللي

اغتصبها.

ذهل إيهاب هو الآخر: وده وصله ازاي يا رغد.

ردت رغد:

– أم الشاب جات هنا و طلبت ايد سما ، تعالى يا إيهاب ولما توصل هتعرف كل حاجه أنا مش عارفه اتصرف.

– رغد اهدي وماتتدخليش، وده مهما كان والدها، وهو أدري بمصلحتها، وإحنا علينا النصيحة وهو ورغبته قبلها مننا وإلا لا.

رغد وقد انتابها حالة من الغضب:

– إزاي الكلام ده يعني يدمر البنت إيهاب تعالى أرجوك، على الأقل اضمنلنا حقوق البنت الغلبانه دي، ده عاوز يكتب الكتاب حالا قبل ما محمد يوصل.

– حاضر يا حبيبتي أنا جاي حالا أغلق إيهاب مع زوجته الهاتف وقرر أن يحدث محمد و ألا يخبره بشيء و أن يتقابل معه ويذهبا معا حتى يسيطر على ردة فعله... و أجابه محمد و تقابلا دون أن يعلم أي شيء.

و في تلك الأثناء.....

حضر إلى منزل إبراهيم الخولي كلا من مراد ووالده و المأذون ولم تمر سوى دقائق معدودة وكانت نظرات إبراهيم لهما لا تنبئ بالخير رافق ذلك وصول إيهاب بصحبة محمد و هنا تحولت نظرات إبراهيم لنظرات زائغه مشتته مرتعبه خوفا مما سيحدث داعيا الله أن يمر هذا اللقاء بأقل الخسائر، دلف محمد

وتقدم الجالسین وقد صدم مما رأى فهو لا یعلم ما یفعله والده
فوجه حدیثه له متسائلاً :

— بابا هو إیه الی بیحصل هنا.

رد إبراهیم متصنعاً القوة فهو یخاف فقدان ولده :

— ما فیش حاجه یا محمد ده جوز أختك سما ، أهو تعالی
بارکله.

محمد بهدوء غیر متوقع ولكنه الهدوء السابق للعاصفة تقدم
من الجالسین وصافحهم حتی وصل لمراد و تلامست یده بیده
فأمسك بها و رفع قبضته الأخری لیلکمه بأنف ، ففقد وعیه
كانت ضربات محمد ضربات مدروسة تعلم أين تتوجه فمحمد
كان بطلاً من أبطال رياضة الكونغفو و یعلم مواضع الضربات
المفقدة للوعي ، و أسرع إیهاب لیکبله من الخلف ، بینما ألقت
سعاد بجسدها فوق جسد ولدها لتحمیه ، أما محمود فجلس
یشاهد ما یحدث و لم یهتز له جفن ، فهو یرید أن یتلقى و لده جزاء
عمله ، أما إبراهیم فاستجمع شجاعته وصاح بولده :

— محمد كفاية أنا قولت کلمتی للناس و إدیتهم الأمان ، و
إنت بتمد إیدک على الراجل فی بیتنا ، ده هیكون جوز أختك و
هیأخذ لحمنا.

وقعت کلماته على مسامع الجميع كالصاعقة فلقد أصدر
قراره وعلیهم الآن تقبله تبادل الجميع النظرات فیما بینهم ، بینما
التقطت والده مراد أنفاسها بعد أن استعاد ابنها وعیه بعد تلك
اللکمة التي نالته من محمد ولكنه لم و لن ییدی أي رد فعل ،

فقد أعطى له كل الحق ، اقتربت رغد من زوجها تحته أن يفعل
مايستطيع أن ينقذ به تلك البريئة الراقدة لا تعي ما يحدث خارج
جدران غرفتها و دون علمها فتحدث إيهاب:
لو سمحتم يا جماعه إحنا كلنا محتاجين نهدا ونتكلم شويه
بهدوء.

بدأ محمد الحديث غاضبا :

— حضرتك سامع بابا بيقول إيه.... و الذي أخذ القرار و
بيجبرنا ننفذه.

ثم وجه نظره للمأذون متسائلا :

— هو ينفع يا شيخنا الوالد يجوز بنته و هي ماتعرفش إنها
هتتجوز و لا حتى موافقه.

وقبل أن يجيبه الرجل حدث ما لم يتوقعه أيا منهم نظروا
جميعا إلى ذلك الصوت المنخفض ولكنه يحمل كثيرا من
الحزم و الجبروت:

— مين اللي مش موافقه هو كان حد سألني.

ثم نظرت باتجاه المأذون قائلة :

— أنا سما إبراهيم الخولي وموافقه اتجوزه يا عمي الشيخ.



الفصل التاسع

أسرع إليها كلا من رغد و هبة ممسكتان بها قبل أن توقع بنفسها في هذا المأزق، فأكملت حديثها وهي تنفض يداها عنها

— أنا قولت موافقه لكن ليا شروط.

وهنا أجابها محمود :

— وأنا يابنتي والد مراد ومسؤول أنفذك شروطك على رقبتني. قال حديثه هذا وهو ينظر لزوجته وولده نظرة يفهماها جيدا بمعنى إن لم تنفذا ما ستقول سأجعلها خراب عليكم فأشاحا بصرهما خافضي رأسيهما أرضا.

فاقترب إيهاب من سما ماددا لها يده كي يساعدها على التقدم والجلوس لكي تملي شروطها آخذا وعدا على نفسه أن يضمن لها تنفيذها.

استجابت له سما و تمسكت بيده وكأنهما طوق نجاتها، و كل هذا تحت نظرات والدها الذي شعر بوخزه في صدره بعد أن خذلها و لم يكن لها السند الحق... وصلت إلى أحد المقاعد القريبه وجلست وهي ما زالت متمسكه بيد إيهاب تستمد منه قوتها، ناظرة لوالدها بقهر و أسى فحاول إيهاب إنهاء الموقف ورفع الحرج عن الجميع فهو يعلم جيدا بداخله سبب قرار إبراهيم ويعطيه بعض الحق فهو بالنهاية أب ويعنيه مصالح أبناءه جميعا

وليس أحدهم على حساب الآخر فتحدث قائلاً:

— اهدي ياسما يابنتي، وإنت يامحمد تعالى اقعد، وخلينا
نسمع طلبات سما و نتناقش بهدوء.

استجاب الجميع لكلمات إيهاب و جلسوا مترقبين حديث
سما و شروطها، تهدت سما و لم تجعلهم ينتظروا كثيراً، و
لكنها أدهشتهم بقوتها وجبروتها... و جعلتهم يتساءلون أيعقل
أن هذه هي سما الهادئة الرقيقة والتي تحدثت وهي تستجمع
قوتها الواهيه:

— أنا هوافق على الجواز على ورق، لكن مش هيلمسني و
لا يقرب مني.

إيهاب مستفسراً:

— يعني هيكون عقد قران بس.

ردت:

— أيوا.. و هكمل تعليمي و هو مش هيعارض و لا يطالبني في
أي يوم بأي حق من حقوقه.

سعاد معترضه:

— و ده بيقى اسمه جواز ده، وبعدين إحنا لازم نعمل فرح و
تخرجي من بيت أهلك على بيت عريسك.

ألقت بكلماتها المبطنة بكثير من المعاني و التي تفهمها
الجميع ماعدا سما و هبة.

فأجابتها رغد بغل من هذه السيدة و تلميحاتها:

— معلش يا مدام أصل سما عيله و اتاخذت على خوانه، و متعرفش يعني إيه الكلام ده، فأنا هستأذنكم اتكلم معاها جوه أنا و أختها و نرجعلكم.

ثم قامت و أمسكت بيدي سما و كأنها طفلتها و باليد الأخرى ساندتها، فسما حتى و إن أظهرت قوتها فهي مازالت ضعيفة البنية، هزيلة الجسد، ولحقتهم هبة التي ما أن أغلقت باب الغرفة الخاصة بهما حتى عنفت أختها:

— انتي مجنونه إزاي توافقي على الحيوان ده هو و أمه الحربايه اللي بره دي.

حاولت رغد تهدئتها:

— إهدي يا هبه، سما اتصرفت صح لإن و الدك كان واخذ قراره وهينفذه بأي شكل، وهي بتصرفها ده على الأقل هتتضمن إنها تتعامل زي ماهي عاوزه، ده غير إنني مطمئن لوالده واضح إنه راجل محترم و رافض تصرفات ابنه و زوجته وهيسانده أختك.

كانت نظرات سما لرغد يملؤها الامتتان فهي تفهمت و جهة نظرها و أوصلتها لأختها دون أن تبذل مجهود، فهي تحتاج الباقي من قوتها للمواجهة بالخارج و ليس مع شقيقتها التي تثق بأن ماتفعله ماهو إلا خوفا عليها.

وجهت رغد حديثها لسما بعد أن جلست جوارها مريثة على يدها:

— اسمعيني حبيبتي إنت مش هينفع تتجوزي على الورق، لإن المفروض إن إحنا بنعمل كل ده علشان الحادثة

اللي حصلتلك، وإنك حاليا مش بنوته، وعلشان ده يحصل لازم
تكوني عمليتي فرح و دخلتي بيت جوزك، علشان الناس اللي في
الأصل إحنا بنعمل كل ده علشان كلامهم يقتنعوا إنك اتجوزتي
بشكل طبيعي.

و تفهمت سما حديث رغد الهاديء و بالرغم من تذكرها
لما حدث لها فذلك زادها قوة وإصرار على الانتقام من ذلك
الشخص الذي تسبب في تخريب حياتها فأجابتها :

_ حاضر يا طنط أنا فهمت حضرتك و تعالي نخرج و هتسمعوا
بقية قراراتي معاهم.

خرجوا جميعا لمن ينتظروهم بالخارج و أكملت سما حديثها :
_ أنا فهمت اللي الحاجه قالتة، و دلوقتي موافقه بس ما يهمني
الفرح و لا البيت و لا أي حاجه المهم إنني مش هعيش معاه في بيت
لوحدني.

ردت سعاد :

_ لا يا حبيبتي انتوا هتجوزا معانا أنا شقتي كبيرة، هجيلكم
موبيليا جديده سفره ونوم وصالون و هجددلك كل حاجه.

سما و قد نفذ صبرها من تلك السيدة :

هو حضرتك مش فهماني أنا عاوزه أعيش في بيتكم في
أوضه لوحدني، ما حدش هيشاركني فيها.

وقبل أن تجيب سعاد أجابها محمود و قطع على زوجته طريق
الاعتراض :

_ وأنا موافق يا بنتي أنا هعملك أوضه خاصة بيكي و هتكلمي

تعليمك، مراد هيعيش معنا لكن مالهوش دخل في حياتك نهائي وأنا هاكون زي والدك، طلباتك كلها و مصاريف تعليمك مني أنا، وده وعدي ليكي إن مش هيكون زوج ليكي غير على الورق أو إنك انتي اللي ترضي وتوافقي بالحياه الزوجيه الكامله معاه.

لم يعترض مراد على حديث والده أو سما بعد أن رأى تلك الملاك، و تذكر ما فعله بها ولكنه أخذ عهدا على نفسه أن يتغير و يبحث عن عمل مناسب لتعليمه ويقرب منها، فالأيام بينهما وسيجعلها تنسى له فعلته وتسامحه، تمنى لو كان رآها دون أن يفعل بها ما فعل، فجماها هادى رقيق تجذبك من الوهلة الأولى.

اطمن الجميع لكلمات هذا الرجل الفاضل وتمنوا أن يستطيع تنفيذه، كما انصاع إبراهيم لرغبة ابنته، أما سعاد يكاد الغيظ يقتلها، فكم تمنّت لابنها حياة هادئة مع هذه السما بعد أن رأت جمالها، ولن تياس وستحاول أن تقرب العلاقات بينهما لعل وعسى أن ترى أبنائهما عما قريب، وأكملت قبل أن يضعها زوجها بمأزق جديد:

– طيب مش يلا يا جماعه نكتب الكتاب، عم الشيخ متعطّل معنا من بدري، ده لولا إنه مربي مراد ما كانش قعد كل ده. فأجابها المآذون:

– كان المهم الاتفاق يأم مراد وموافقة الزوجة قبل أي شيء. ردت بسرور:

ـ و كله تمام يا عم الشيخ والعروسه موافقه أهى قدامك يلا
بقى اكتب الكتاب وعلى الجواب.

تمت إجراءات الزواج بهدوء غير متوقع و انتهى كل شىء
سريعا و اصبحت سما زوجة لمراد و لكنها حسمت الأمر حينما
هبت واقفة رافعة رأسها بشموخ:

ـ أنا حاليا نفذت كل طلباتكم.. لكن أنا مش هنتقل من
بيت أهلى غير بعد ما أخلص الثانويه العامه و نتيجتي تظهر و ده
قراري و مش هتنازل عنه.

وهنا تحدث ذلك الذي طال صمته حتى ظنه الحضور أبكم
و نطق مراد مشيرا لوالدته ألا تتحدث:

ـ وأنا معنديش مانع، خليكى هنا و كل طلباتك أوامرو
أنا هجهز البيت عند و الدي لاستقبالك وبعد إذن عمي إبراهيم
والأستاذ محمد أنا هاحجز قاعه للفرح.

لو كانت النظرات تحرق لأحرقته نظرات الاحتقار من
الحاضرين بما بينهم والده، أما و الدته فاتسعت ابتساماتها
فسيظفر ولدها بحياته و هذا كل ماتمنته.



مرت الأيام و لم تترك رغد الفتاتين بل لازمت سما و حثت
هبة على معاودة الدراسة و تعويض ما فاتتها من محاضرات عمليه
ونظريه.

تقربت العائلتان من بعضهما و تبادلوا الزيارات بينهم، و في
تلك المرات القليله ينتهز رامين الفرصة كي يحدث هبة، حتى

وإن كان حديثاً عاماً، ولكنه كان يرضيه و يرضي لوعة قلبه فكلما تقربا و تعرفا على بعضهما أكثر ازداد بها عشقا.. إلي أن شعر به و الده وقرر أن يحسم الأمر مع عائلة هبه، و يتأكد من رغبتها هي الأخرى في الارتباط بنجله ويحادثها بمفردها حتى لا يفرض عليها و الدها هذه الزيجة كنوع من رد الجميل لما فعله معهم.

اليوم هو الأصعب على الإطلاق فسما بانتظار إعلان نتيجة الثانوية العام، بعد عناء دام لأشهر من الاستذكار والمراجعات و كذلك انتظار يومها الموعود الذي حدد به العرس و الانتقال لمنزل عائلة الشيخ محمود منزل زوجها المزعوم.

وصل إيهاب ورغد إلى منزل عائلة إبراهيم حتى يكونا برفقة سما بهذه اللحظات الصعبة استقبلهم الجميع بفرحة وحب و مودة، فهذان الزوجان قدما لهم الكثير و ساندوهم، و كأنهم من دم واحد.

رفع آذان المغرب واستأذن إبراهيم من الحاضرين للتوضأ و الصلاة جماعه مع إيهاب وبهذه اللحظات و أثناء انشغال رغد و سما بمعرفة النتيجة، طلب إيهاب من هبة الجلوس بالمقعد المجاور حتى يحادثها و أجابته مطلبه:

— خير يا عمي إيهاب في حاجه.

رد إيهاب:

— هبة أنا عاوز أسألك على حاجه، و محتاج منك إجابة صريحه قبل ما اتكلم مع و الدك في أي شيء.

هبة بفزع:

_ في حاجه حصلت ياعمي أنا غلطت في حاجه.

ايهاب مطمئنا لها:

_ لا يابنتي لاسمح الله.. كل الحكاية إن رامين ابني طالب الزواج منك، وأنا حابب أعرف رأيك بمنتهى الصراحه، وماحبتش أسيب رغد هي اللي تفاتحك في الموضوع، علشان عاوز أعرف إن كنتى موافقه من جواكي و عن قناعه وإلا ده لمجرد إن علاقتنا تفضل مستمره أو تكوني متخيله إن برفضك ممكن يحصل اختلاف.

خجلت هبة من حديثه كثيرا وبدأت بفرك أصابع يدها من شدة توترها، فيماذا تجيبه ؟ أتعترف أنها وقعت أسيرة عيني ولده، أم تخبره باحتلال ولده لروحها بحديثه الراقى الواعي معها.

(تكلمي هبة، إعجابك سيذهب هباء)

ظلت تحت نفسها على التحدث ولكن الكلمات أبت الخروج من شدة خجلها و إنما ابتسامه رقيقه عبرت عما بداخلها حينما تذكرت حديثه معها و شرحه المبسط لها لغدى المواد الدراسيه في آخر زيارة لهم، عندما علم أنها ستستعين بزميلها فتآكلته الغيرة على فتاته و عرض خدماته.

تفهم ايهاب صمتها و ابتسامتها ورفع عنها الحرج قائلا:

_ نقول مبروك وهكلم والدك بعد الصلاة وتكون نتيجة سما ظهرت.

ازداد خجلها و انصرفت مسرعة بينما ظهرت ابتسامة رغد الجالس، فلم يخفى عنها الحديث الدائر بينهما فتابعت المشهد من بعيد باستمتاع، فهي كانت على يقين من مبادلة هبة لولدها رامين مشاعرة.

دقائق ليست بكثيرة و أصبحت الفرحه فرحتان حين ظهرت قوائم نتيجة الثانوية العامه وعلم الجميع بنجاح سما و مجموع درجاتها الغير متوقع بعد كل ما مرت به من محن.

نظرت رغد لسما بفخر و فرحه نابغة من القلب و كأنها ابنتها التي أنجبتها فما كان من سما إلا أن ألقت بجسدها بين ذراعي رغد مقبلة وبادلتها رغد الحضن بمشاعر أمومه حقيقه ففرحتها الآن توازي فرحتها بنجاح أبنائها بل زاد عليهم فخرها بتفوق سما رغم كل العقبات التي مرت بحياتها.

أما سما و التي تدين لهذه السيدة العظيمة وزوجها بالفضل الأكبر بنجاحها و استكمال دراستها فرغد منحتها الكثير من وقتها ووقت بيتها وزوجها و أبنائها، ولم يعترض أيا منهم بل كان الجميع يساندها و يقدم لها يد المساعدة بالدراسة و الاستذكار، و ليست فقط هي بل كان دائماً مايساعد ولدها الأكبر رامين أختها هبة بدراستها للكيمياء العضوية.

ظلت سما بحضن رغد حتى خرج والدها بعد أن أنهى وضوءه، وحينما رأى هذا المشهد المؤثر تذكركم تمنى زوجته أن ترى ابنتها وسعادتها بنجاحها وتضمها إلى صدرها، واغروقت عيناه بالدموع، ولكن إيهاب كعادته احتوى الموقف وجذب انتباهه بحديثه عن الصلاة:

— اتوضيت يا حاج إبراهيم ، يلا بينا نصلي علشان بعدها في موضوع عاوز أكلمك فيه.

رد إبراهيم وهو يخفض رأسه عليه يخفي آثار هذه الدمعة الخائنة المنهمرة من عينيه:

— أيوة الحمد لله اتوضيت يلا ندخل نصلي جوه.

وأشار لإيهاب بيده لإحدى غرف المنزل ، أنهى الاثنان صلاتهما ليبدأ إيهاب حديثه وهما جالسين أرضاً على سجادة الصلاة: — حرماً.

— جمعا إن شاء الله.. تعالى نقوم نقعد و طمني إيه الموضوع اللي عاوزني فيه.

ربت إيهاب على يده بآلا يقوم ويستمر جالسين كما هما بالأرضيه على سجادة الصلاة:

— اطمئن ده موضوع خير بإذن الله وفرحه كبيرة لو إنت وافقتني.

— يارب فرح قلوبنا جميعاً وعوضنا عن كل اللي شوفناه ومرينا بيه.

— اللهم آمين... شوف يا سيدي أنا طالب القرب منك في بنتك هبة لابني رامين.

تهلل وجه إبراهيم قائلاً:

غالي و الطلب رخيص ده أنا أوصلها لك لحد بيتك.

— تعيش يا ابو محمد.. وأنا بكلامك ده تزيد غلاوتها وأنا

بنفسي اضمنلك ابني و لو في يوم زعلها لا قدر الله حقها عندي
أنا، و تسألني أنا في أي تقصير منه ليها.

– البنت بنتكم و ابنك ابني و أنا شوفته و عرفته، الدكتور
رامين راجل وزينة الشباب.

– و هبه بنتي ست البنات.. خلاص على خيرة الله، إحنا نخرج
نفرحهم و بكره بأمر الله أنا هجيب رامين و رايان و نيجي نقرا
الفاتحه و نحدد حفلة الخطوبه و إن شاء الله تكون قبل فرح
سما.

قال إبراهيم بحزن:

- فكرتني بفرح سما ليه بس... و الله أنا شايل همها و خايف
عليها و خصوصا من الست أمه دي.
إيهاب مطمئنا له:

– لا متقلقش الشيخ محمود راجل محترم و الولد شكله
ندمان فعلا و عاوز بيدأ معاها حياه جديدة و أنا سألت عليهم و
عرفت إن مراد غير حياته عن الفتره اللي فاتت و استقام و بقى
من شغله للمسجد أو البيت.

– الله يطمنك، دايمًا بتعمل اللي أنا مش بقدر عليه و لا بفكر
فيه، ربنا يديم المعروف بينا.

إيهاب وقد وقف كي يخرج:

– يا رب.. يالابينا نقعد معاهم و نعرف سما ناوية تقدم على
كلية إيه؟

خرج الاثنان بعد الصلاة و الاتفاق ليخبرا الجميع، فأخيرا

تزور الفرحة منزل إبراهيم الخولي بعد كل هذا الألم و الصعاب
التي حوصر بها كل فرد من أفراد العائلة بدأت رغد الحديث
بعد أن وجدت علامات الرضا على وجه زوجها متسائله:
– إيه يا جماعه هو اللي بيدخل يصلي بيخرج وشه منور كدا
و الفرحة ظاهره عليه ١٩.

زادت ابتسامة إبراهيم ناظرا لإيهاب الذي بادلة ابتسامته
مجيبا فضول زوجته:

– هو أكيد طبعا اللي بيصلي ربنا بينور قلبه ووشه كمان ،
لكن بالنسبة لموضوع الفرحة دا فأنا هاريحك ياستي و أقولك
سببه.

قاطعته رغد :

– أيوا أنا عاوزه اعرف سببه ، مش أنا لوحدي أنا و سما و هبة
يعني مش لوحدي اللي الفضول هيقتلني دا بناتي معايا كمان.

قهقهه إيهاب و إبراهيم على حديثها و أجابها إيهاب:

– وأنا هارضي فضولكم ، الموضوع إنني طلبت من أبو محمد
ايد بنتي هبة لابني رامين و هو مشكورا و افق ، و هنيجي بكرة
ان شاء الله و نجيب و لادك الاتنين و نتفق و نقرا الفاتحه.

وما أن أنهى كلماته حتى صاحت كل من رغد و سما
و كأنهما بنفس العمر مصفقتين بأيديهم

محتضنتين لهبة التي كان الخجل يعصف بها ولكن فرحتها
منعتها.

رغد بفرحة أم حقيقه لهبة :

— مبروك ياهوبا ، ألف مبروك يا حبيبتى سما .

أما سما كانت تطير من السعادة بفرحة حقيقية تطرق قلبها لارتباط اختها فهي الأخرى كانت تعلم ما يدور بقلب هبة وقالت :

— مبروك ياهوبا ، ألف مبروك يا حبيبتى والدكتور رامين محترم وذوق وله فضل كبير جدا عليا في نجاحي ولولاه أنا مكنتش قدرت أجمع اللي فاتتي ولا أجيب ٩٩٪ ، دا رقم أكبر من توقعي .

انتبه كلا من إبراهيم وإيهاب إلى مجموع سما و الذي هو بالفعل كبير و يؤهلها للإلتحاق بكلية الطب أو الهندسة فحدثها إيهاب متسائلا :

— وانتي قررتي تقدمي في كلية إيه ياسما .

— أنا قررت أدخل كلية حقوق .



الفصل العاشر

رفع إبراهيم حاجبيه وفغرفاه وقد صدم من حديث ابنته
فدائما ما كان حلمها الإلتحاق بكلية الطب:

ـ لكن دا مكنش حلمك ولا وعدك ليا ياسما ، طول عمرك
تقوليلي أنا هاكون دكتورة يا بابا وأشرفك واكتب اسمك على
يافطة كبيرة فوق عيادتي وإلا نسييتي كلامك ؟.

سما وقد اختنقت نبرة صوتها واحتل القهر قلبها :

ـ ده كان زمان يا بابا كنت نفسي أكون دكتورة ، لكن
دلوقتي أنا نفسي أكون محامية وأقدر أوجد ثغرات في القانون
تتصر المظلوم ، و لو على و عدي ليك إنني أكون دكتورة فأنا
مازلت مصرّة أخذ دكتوراة في القانون وأكون أكبر وأشهر
محامية في البلد.

شعر الجميع بحزنها وأن ما حدث لها أثر على قراراتها و
أحلامها ، فحاولت رغد تهدئة الأجواء و تغيير مسار الحديث :

ـ يعني هيكون عندنا سيادة المستشار و الدكتورة في
القانون و ثم أضافت بمزح و تخيلوا كمان لو سما و ققت في
المحكمة تترافع في قضيه و إيهاب هو القاضي في نفس
القضيه ، إيهاب هيدي المتهم براءه علشان خاطر سما .

عادت الأسرة لمرحها ولم يعارض إيهاب زوجته و إنما شاركها
حديثها حتى يستطيعوا إخراج الجميع من شعور الظلم و القهر

الذي عاشته سما بتجربتها المريرة قائلاً:

– ايوة طبعاً هاعمل كده و هادور أنا على ثغرة، مانا لو
قولتلها لا، و المتهم اتحكم عليه ممكن تعيط و أنا مقدرش
أشوف حد من بناتي في عيونه نظرة حزن.

ثم نظر لسما نظرة ذات مغذى و كأنه يطالبها ألا تحزن و
يؤكد لها دعمه و مساندته لها و تفهمت سما نظراته جيداً كما
سعدت بها.

أما رغد بعد أن وجدت هبة تأثرت على حال أختها، و قررت
إسعادها و معاودة الحديث عن الزفاف المنتظر قائلة:

– و انتي ياست هبة مافيش وقت للزعل و إحنا و رانا حاجات
كثير، لازم نستأذن أنا وإيهاب دلوقتي علشان انتوا ترتاحوا
و بكره الصبح من بدري همر عليكم و ننزل نشتري شوية
حاجات، ده بعد إذن بابا طبعاً.

وقبل أن تكمل رغد حديثها ارتفعت أصوات رنين هاتف
المنزل معلناً اتصال، أمسك إبراهيم بسماعة الهاتف مجيباً:
– سلام عليكم.

الطرف الآخر:

– و عليكم السلام يا أستاذ إبراهيم.. أنا سعاد أم مراد.
قطب إبراهيم حاجبيه زافراً أنفاسه، فاتصالها كان آخر
ما يطمناه الجميع:

– أهلاً و سهلاً ياست أم مراد.

– أهلاً بحضرتك، أنا آسفه على ازعاجك بس عرفت من

التليفزيون إن نتيجة الثانوية العامه ظهرت وقولت انطمئن على
سما حبيبتي.

إبراهيم بفخر:

– الحمد لله نجحت بتفوق كمان.

سعاد بفرحة:

– الله أكبر الله أكبر ألف ألف مبرووك.

استمع إبراهيم لمن يحادثها بالحاح بصوت ضعيف متسائلا
عن مجموعها و علم جيدا أنه مراد.

– هي جابت كام مجموع يا أستاذ إبراهيم؟.

– جابت تسعه و تسعين في المائة، بنتي متفوقه و تقدر تقف
على رجلها، و ده من فضل ربنا عليها.

سعاد بأسف:

– الحمد لله يا أستاذ إبراهيم، وربنا يجعل أيامها الجايه
كلها فرح، هو ممكن آجي بكرة أزوركم و أباركلها أنا و
الشيخ محمود.

زاغت نظرات إبراهيم وزادت حيرته كيف له أن يستقبلهم
و يجدد على ابنته أحزانها في حين سترى فرحة أختها بقراءة
فاتحتها و الإتفاق على الزواج بدون أن تكون مكرهه مثلها
ولكنه حسم قرارة فغدا فرح و لن يعكس صفو بناته به.

فأعتذر منها:

– آسف يا أم مراد استأذنتك نأجلها لبعد بكرة عندنا ميعاد

مهم..

سعاد بخجل وإحراج:

— طيب و ماله نيجي بعد بكرة إن شاء الله بعد صلاة المغرب
هنكون عندكم.

— إن شاء الله يا أم مراد و اعذريني و الله بس الميعاد ماينفesh
يتأجل.

— لا ياخويا مافيش حاجه إحنا بقينا أهل ، سلام عليكم.
و عليكم السلام.

أغلق كلاهما السماعه و استعدا ليجيبا تلك النظرات
المتسائلة.....

فإبراهيم نظر أمامه ليجد علامات الحزن بايديه على وجه
ابنته سما فأراد طمئنتها:

— الست أم مراد بتسأل سما عملت إيه لما عرفت من
التليفزيون و كانت عاوزه تيجي بكرة تباركها هي والشيخ
محمود ، لكن أنا أجلتها لبعد بكرة علشان تعرفوا تفرحوا و
تاخدوا راحتكم.

فتحدثت رغد دون شعور لأنها لا تريد أن تحزن هبة وسما و
لا ابنها بوجود أشخاص مجرد ظهورهم في المشهد سيعيد على
الجميع ذكريات مؤلمه:

— و الله خير ما عملت مش عاوزين حاجه تزعلنا بكرة.

إيهاب و قد انتبه لحزن سما:

— رغد يلا بينا احنا إتأخرنا و لو الجماعه حابين يشاركونا
فرحتنا مافيش مانع يا بو محمد.

أجابه ابراهيم:

— لا لا أنا مش حبيب و جودهم.

ثم نظر لابنته فتفهم إيهاب سبب رفضه ، انصرف إيهاب و
رغد و تركا منزل إبراهيم الخولي عائدين إلى منزلهم.

أما سعاد فبعد أن أغلقت الهاتف و أجابت ابنها الجالس
جوارها بما دار في حديثها مع إبراهيم نظرت لمراد متسائلة:

— ومجموعها ده يدخلها إيه ياترى.

— مش عارف!!، لكن أي كلية عاوزه تدخلها أنا مستعد
اتكفل بكل طلباتها مهما كانت ، ولو هاشتغل ليل نهار مش
هحرمها من حلمها كفايه اللي عملته فيها.

سعاد و قد لاحظت مشاعر و لديها:

—إنت حبيبتها يا مراد و إلا صعبانه عليك من اللي عملته فيها.
مراد محاولا إخفاء مشاعره:

— أنا كنت لحقت أعرفها علشان أحبها ، أنا بس بخلص
ضميري قدام ربنا ، و بحاول أعوضها.

— ولو إن يا مراد اللي عملته مافيش حاجه تعوضة ، لكن
أنا بتمنى إن ربنا يهديها و يحسن قلبها و تقبل تعيش معاك حياه
طبيعية ، مش زي ما اشترطت.

مراد بدون و عي لما يقوله:

— يارب يا أمى.

وهنا أدركت سعاد أن و لديها أصبح أسير غرام هذه الصغيره.

—ان شاء الله لما نروح أنا و أبوك عندهم هنتفق على ميعاد

جفلت رغد :

— حرام عليك يا رايان حد يخض أمه كده.

رايان مقهقها :

— اتخضيتي يارورو ياقمر، كده برده دا أنا و حش أوي.

صفعته رغد بكفها الصغير على عضلة ذراعه القوية، فادعى التألم، ارتسمت على وجه رغد ملامح التعجب و الابتسامه لم تفارق شفاتها على أفعال ولدها ومداعباته المستمرة، فهو روح هذا المنزل ومن يضيف عليه أجواء البهجة و السرور... ولكنها تذكرت محادثته التليفونيه وتعنيفة لابنة عمه روجين:

— تعالى هنا الأول قولتي إنت مش هتحسن من أسلوبك مع روجين، البنيت هتزهق منك وتضايق.

— هي تستاهل اللي باعمله فيها، مش هي اللي بتغلط، خلاص تستحمل نتيجة غلطها..

— يا حبيبي حتى لو غلطت، إنت المفروض تعرفها غلطها بهدوء مش تفضل تخانقها ليل نهار كده، ده مش حب يابني ده ملل و بكره تكرهك و تدور على حد يعاملها كويس.

أثارت كلمات رغد غضب رايان من جديد عندما تخيل حبيبته مع رجل غيره:

— هي مين دي اللي تدور على غيري، ده أنا اقتلها هو أنا يا أكون شاب توتو و أقبل إنها تتعاكس و تكلم زملائها الشباب يا تروح تدور على غيري، لا يا أمي، لا أنا هاكون كده ولا هي تقدر تكلم حد غيري، روجين دي حبيبتي أنا وبس، وغضب

عنها تقبل بحبي و غيرتي زي ماهي و تمشي على دماغي مش
العكس.

ضربت كف على كف متعجبه من أسلوب و لدها و مشاعره
المتملكة لمعشوقته ولم تتعجب و حدها وترفض طريقته
بالتعبير عن مشاعره، إنما انضم إليها و لدها الكبير هذا
العاشق الولهان والذي استمع حين و صوله لحديث أخيه و تدخل
بالحديث معترضا :

– اللي إنت بتقوله ده تملك ، الحب الحقيقي ثقه في حبها
ومشاعرها ليك، قبل ماتش في نفسك وإنك تكفيها عن رجال
الدنيا كلها.

ابتسمت رغد و سعد قلبها بحديث و لدها رامين فهو يشبه و
الده كثيرا حتى مشاعره و طريقه تعبيرة عنها ، أما رايان والذي
لم يعجبه حديثهما فقرر تغير مجرى الحديث متسائلا :

– هو مفيش عشا و لا إيه يارورو ، سيبكم مني أنا وطميننا
كلمتى أهل العروسة و إلا لسه.

فتههل و جه رامين فكم تمنى أن يسأل و الدته و لكن منع
نفسه حتى تبدأ هي الحديث و لكن أخاه أنقذه من نار الانتظار.
أجابته رغد بعدما شعرت بلوعة هذا المقيم :

– أيوا يا حبيبي اتكلمنا مع هبة و والدها و الاثنين موافقين
و مرحبين، وبكرا إن شاء الله هنروح نزوهم كلنا كدا و نقرا
الفاتحه.

تهلل وجه رامين و تراقص قلبة فرحا ، احتضنه أخيه مهنئاً له :

— ألف مبروك يادكتور، أيوا بقى عندنا مناسبه، و عاوزين
نسعد و نعملك أجمل فرح يليق بالدكتور رامين رضوان و عروسته
المصون.

قهقهت رغد و كذلك رامين على كلماته و حركاته
المسرحيه المصاحبه لها.

وقالت رغد بسرور:

— مبروك يا حبيبي ربنا يسعدكم و يوفقكم، خلي بالك
عليها و إوعى تزعلها، هبه بنت حساسه جدا و رقيقه.

رد رامين: الله يبارك فيكي يا أمي و المفروض متوصنيش
عليها لأنك عارفة تربيتك و عارفة إن ابنك بيحترم و يقدر الست
اللي هتشيل اسمه.

رغد بنظرات معاتبه لابنها رايان:

— ما أنا يابني مربياكم انتوا الاتنين، لكن الباش مهندس
مش يبطل خناق و ينكد على البنت الغلبانه.

قاطعها رايان:

— لكن بعشقها ومدلعا و إسألها لو في حد ممكن يخاف
عليها أوي زيي.

سُرت رغد:

— أيوة كده يا قلب ماما، أنا يهمني إنك تفرحها و تدلعا، و
الست يا حبيبي وقت ماتلاقي الحنيه والدلع والحب اللي يملئ
قلبها بتدي بكل طاقتها مش بيهما هي هتضحى بإيه علشان
تسعد زوجها وأولادها.

تفهم و لديها حديثها وعلما جيدا أنها تتحدث عن نفسها فهي
من ضحت من أجلهم فلقد تركت عملها كمستشاره بهيئة
قضايا الدولة حتى تتفرغ لرعايتهم ودراستهم، احتضنها الاثنان
معا وبادلتهم بمحبه و حنان، و كعادته رايان حول مسار الحديث
إلى كوميديا حتى لا تشعر والدتهم بالحزن:

– المهم بقى يارورو إيهاب باشا سايبك ومستخبي فين.
رغد متذكرة:

– يا خبرده قال هيغير لبسه على ما اجهز العشا وأبلغه، شوفتوا
عملتوا فيا إيه هتلاقيه دلوقتي زعلان منى.
تبرع رايان بإبلاغه:

– خلاص سيبهولي، أنا هجيبه، و انتي جهزي العشا بدل
مايلاقيه ما جهزش وتبقى ليلتك ليله النهاردة.

ذهب رايان لوالده عادت رغد لإكمال إعداد العشاء بينما
رامين لم يترك مكانه و ظل متوترا لايعرف كيف يبدأ حديثه
مع والدته فيما يريد، انتهت رغد لولدها ولتوتره فبدأت هي
الحديث:

– حبيبي ما بدلتش لبسك ليه، إنت خارج تاني.

– لا أبدا يا أمي.. أنا كنت بصراحة عاوز اتكلم مع حضرتك
في موضوع ؟.

رغد بانتباه:

– خير يا حبيبي فيه إيه ؟ إنت محتاج حاجه ؟.

– لا يا أمي أنا بس كنت طالب من حضرتك خدمة.

– اتفضل يا حبيبي، اطلب زي ما إنت عاوز.

– حضرتك عارفة إن هبة والدتها متوفيه، وهي وأختها
لو حدهم وأكيد ما كانتش عامله حسابها على زيارتنا، فلو يعني
تكرمتي وساعدتيها، وياريت يا أمي تأخديها تشوفي كل اللي
نفسها فيه وتجيبهولها.

ثم قدم لها بطاقة الائتمان الخاصة به.

– وخلي دي معاكي، اسحبى منها كل اللي تحتاجيه.
رغد وهي تربت على وجنته:

– تفتكر أمك حبيبتك هيفوتها حاجه زي دي، اتطمئن أنا
متفقّه معاهم إنني هأكون عندهم من الصبح، وإنت وبابا وأخوك
هتيجوا لوحدكم، أنا أم العروسه.



الفصل الحادي عشر

سعد رامين لحديث و الدته و تيقن أن صغيرته ستكون بخير
ما دامت بين أحضان والدته الحنونه.

أما رايان بعد أن دق باب الغرفة مرات عدة ولم يجد إجابة من
والده، فتحها ودلف إليه و وجده مستغرقا بنومه، عاد ليخبرهم
فأجابته رغد:

— خلاص اتعشوا انتوا، أنا مالميش نفس ومحتاجه أرتاح، علشان
عندي بكرة يوم طويل تصبحوا على خير.
ردا سويا:

— وحضرتك من اهل الخير.



أما بمنزل إبراهيم الخولي وبعد أن انصرفت رغد وزوجها
وعاد محمد لمنزلهم وجد والده
يجلس يحدث أخته ويظهر عليهما السرور و السعاده فنظر
لها متسائلا:

— خير شاي فكم قاعدين وفرحانين فرحوني معاكم، سما
نجحت أكيد طبعا، لكن واضح إن المجموع كبير.
أجابه والده:

— تعالى اقعد بس وسيبك من الفضول اللي جواك ده.

— أنا فضولي يا حاج، لا ده واضح إن الغزاله رايقه أوي.
— طبعا لازم تروق الفرحة النهارده فرحتين.
— خير طيب فرحوني معاكم.
— أختك سما جابت تسعه وتسعين بالمائه.
— الله أكبر ماشاء الله.
— ولسه الخبر الأجل، هبة أختك جالها عريس، ومش أي
عريس ؟
محمد متعجبا :
— ده كل المفاجآت النهارده.. وياترى مين سعيد الحظ اللي
هيخطف ست الحسن من بيتنا.
— الدكتور رامين ابن عمك إيهاب.
محمد بفرحه :
— الله أكبر.. ياه أخيرا حاجه حلوة تيجي على البيت دا.
— الله يرحمها أمك كانت نفسها تشوف اليوم ده.
— الله يرحمها ويجعل مثواها الجنة، زمانها حاسه بكل
حاجه وفرحانه.
استأذنت هبة منهما بالانصراف لتجهز وجبة العشاء وانتهر
والدها هذه الفرصه حتى يحدث ولده بدون وجودها قائلا :
— والله يا محمد يا بني كلها تدابير ربنا ، يعني أنا كنت
شايلى هم كلام الناس إن سما تتجوز قبل أختها الكبيرة، وإنت
عارف محدش بيرحم، وكنت خايف على مشاعر هبة، لما كل

واحد هتفضل تقولها ربنا يرزقك بابن الحلال و اللي تقولها ربنا يعدلها لك، وخوفت الكلام ده يآثر في نفسية أختك و إلا تشيل في نفسها، لكن أهو الحمد لله جات من عند ربنا.

رد محمد بضيق و هو يحاول جاهدا عدم الانفعال أمام والده:
 _ كلام الناس ده هو السبب اللي خلانا نضيع حق سما يا بابا، ونجوزها للي اسمه مراد ده، وإلا الست أمه اللي كل همها المحروس ابنها، و الله يا بابا أنا خايف أوي على سما من الست دي.

رد إبراهيم و هو يعني قلة حيلته:

_ كنت أعمل إيه يا محمد، نفسي تفهمني وتقدر موقفي، أنا خوفت عليكم كلكم، و إنت كان ممكن تقتله وتضيع مستقبلك، أو تقدمه للبوليس وساعتها هنتفضح وإخواتك الاتنين في الحالتين مضرورين لأن مفيش حد هيوافق يتجوزهم، يعنى اللي حصل ده يابني علشانكم، مش لأنني أب ظالم زي ما أختك شايفاني، (زفر زفرة طويلة أودعها كسرتة و حزنه) يمكن هي مش بتقول لكن واضح من نظراتها.

حاول محمد الجبر بخاطره:

_ يمكن أنا كمان في الأول كنت ظالمك زيتها، لكن مع الوقت فهمت وعرفت إن حضرتك فكرت في مصلحتنا كلنا، و مسيرها هتعرف هي كمان.

قطع حديثهم دخول هبة محدثة أخيها:

_ يالا يا حبيبي العشا جاهز، وحضرتك يا بابا تعالى اتعشى

مع محمد، أنا جهزت سندوتشات خفيفه ليا أنا وسما هنتعشى
ونام لأن طنط رغد هتجيلنا الصبح بدري.

ابتسم لها والدها :

— خلاص يابنتي ادخلي انتي اتعشى وماتسشيش أختك و
ارتاحوا ، تصبحوا على خير.

— وحضرتك من أهل الخير... تصبح على خير يا محمد.

— و انتي من أهله ياهوبا.



انتهى اليوم و الجميع بانتظار يوم جديد ملئ بالفرحة ومع
إشراقة شمس الاسكندريه ، استيقظت هبة من نومها على رنين
هاتفها معلنا موعد الاستيقاظ لتجهيز وجبة الفطور لأخيها قبل
ذهابه لعمله و كما كانت و الدتها تفعل تماما ، فهي الآن من
تولت جميع مهامها ، و بينما كانت تجهز الطعام وجدت أخيها
مادا يده لها وبها مبلغ من المال وترتسم على وجهه ابتسامة حنونه
مملوءة بالفرحة :

— صباح الخير ياهوبا

— صباح النور يا حبيبي (نظرت ليده و ما بها) إيه الفلوس دي؟
لسه المصروف اللي بابا عطهولي ماخلصش.

— لا يا حبيبة أخوكي ، دي علشانك انتي وسما تنزلوا تشتروا
فساتين جديده ، علشان مقابلة النهارده.

فأجابته بصوت منخفض :

_ لا يا محمد شكرا إحنا عندنا كثير.

إعترض و هو يضع المال أعلى المنضده:

_ لا ياهويا لازم تشتتروا حاجات جديده تليق بالمناسبة، ويلا مافيش وقت، أنا هاكل أي حاجه بسرعه، وانتي صحي أختك وانزلوا. خرجت هبة من غرفة الطعام هربا من أخيها فهي خجلة من مجرد تذكير أخيها لها بأنها اليوم ستكون ملك لرجل غريب، رجل أعجبت به مع أنها دائما كانت تخاف التعلق بأحد حتى لا تصدم بالنهايه، و ما أن وصلت إلي غرفتها حتى وجدت سما استيقظت هي الأخرى وقبل أن تخبرها ما قاله أخوها، ارتفع رنين هاتفها و أضاءت شاشته الصغيرة باسم رغد.

فأجابت على عجل:

_ السلام عليكم.

_ و عليكم السلام، جاهزة يا عروسه.

_ جاهزة حالا.

_ وسما جهزت و إلا لسه... يالا أنا في الطريق ليكم.

_ سما لسه صاحيه هتقوم تجهز حالا.

_ يالا قوليلها ماما رغد بتقولك قومي ياكسوله و رانا حاجات كثير.

_ حاضر هبلغها.

_ أول ما أوصل هكلمك تنزلوا علطول، مع السلامه يا حبيبتي.

— مع السلامة.

بدأت هبة في ارتداء ثيابها و تبعتها سما بعد محاولات عدة من الإقناع، إلى أن هاتفتهم رغد وتقابلوا معها.

استقلوا السيارة الخاصة برغد، وتجولوا بجميع المولات ومحلات الملابس الحريمي ومنها

إلى المحلات الخاصة بمستحضرات التجميل والإكسسوارات، ثم إلى مجال المصنوعات الجلدية لشراء الأحذية.

رغد كانت تتعامل معهما وكأنها أمهما فلم تسمح لهما بدفع مقابل لأي شيء اشتروه، واشترت لهما الكثير من المقتنيات لم تبخل عليهم بشيء اشتروا الكثير من مستلزماتهما الشخصية ثم ذهبوا إلى أكبر محال الحلويات لشراء ما يلزمهم للضيافة وبالآخر عادوا للمنزل ولم تتركهما رغد، بل صعدت معهما وعاونتهما على جميع التجهيزات وقبل الموعد بساعة استعدوا جميعا لاستقبال الضيوف لم تشعر الأختان للحظة أن الضيوف القادمين إليهم يمتون بصلة قرابة لرغد بل كان شعورهما أنها والدتهما الحبيبة التي تستعد معهما لاستقبال الضيوف الأغراب، قللت لديهما من افتقادهما لأمهما وأمنياتهما بأن تكون معهما في مثل هذا الوقت، لم تتسبب أمهما بالطبع، لكن إحساسهما بالفقد واليتم قد تضائل كثيرا بحضور رغد، وكأنما أرسلها الله لهما عوضا من عنده ورحمة بهما.

بهذه الأثناء كان إيهاب يصطحب ولده بسيارته الخاصة

لشراء الهدايا وتقديمها حين و صولهم للعروس و عائلتها وكانت المفاجأة حين أخبرهم رامين عن شرائه لخاتم من الذهب الأبيض صممه خصيصا من أجل معشوقته ، يتدلى من منتصفه قلب بداخله أول حرف من اسمه باللغة الإنجليزية R ودخله أول حرف أيضا من اسمها بنفس اللغة و كان اسمه يحتضن اسمها كما أراد قلبه احتضان قلبها ، ابتسم إيهاب ناظرا لولده بفخر و سعادة و اطمئن بداخله على هذان العاشقان.

وصلوا جميعا لمنزل إبراهيم الخولي، كان باستقبالهم جميع أفراد العائلة و على رأسهم والدته العريس و القائمة بدور والدته العروس و على أكمل وجه بالترحاب.

بادر إبراهيم بالترحيب بضيوفه:

— أهلا و سهلا شرفتونا.

رد إيهاب بسرور:

— أهلا بكم يا حاج إبراهيم... إزيك يا محمد مش بنشوفك ليه؟

رد محمد مبتسما و مرحبا بهم:

الحمد لله يا عمي و الله بخير.. بس الشغل مزودينه علينا جدا اليومين دول.

تدخلت رغد بمزاح:

— أهلا و سهلا يا أستاذ إيهاب، نورتنا يا دكتور رامين وإنت يا باش مهندس رايان.

قهقه الجميع على مزحتها و أجابها إيهاب:

– يعني عاوزة تقوليلنا خلصوا و قوموا امشوا و إلا إيه يأم العروسة.

ردت بابتسامة:

– لا طبعا يا حبيبي دي تيجي بس يعني انتوا هتقضوها سلامات و تحيات و أنا شايفة الدكتور رامين قاعد مخنوق وعاوز يطمئن على مستقبله.

إيهاب و هو يشير على زوجته:

– شوفتوا أهي قلبت في لحظة من أم العروسة لأم العريس....
خلاص يا ستي هنطمئن الدكتور

وأم الدكتور (ثم وجه حديثه لإبراهيم و محمد مكملًا) يا جماعه إحنا طبعا جايين النهاردة و طالبين إيد بنتكم هبة لابني رامين، و كل طلباتكم مجابه.

نظر كل من إبراهيم و محمد إلي بعضهما وأجابه إبراهيم:

– بنتي هي بنتك و رامين ابني زي محمد بالضبط و احنا موافقين طبعا و ده شرف لينا ننده العروسة و نقرا الفاتحه.

تهللت رغد:

– حالا هتكون هنا.

ذهبت لتحضر كلا من سما و هبة التي خرجت تشبه الورد الجورى في جمالها و دفعها متألفة كنجمة تلمع في السماء الصافية، وجهها البشوش وجنتاها تكسوهما حمرة الخجل، حجابها الفضى الذي أظهر استدارة وجهها، هذا الفستان المحدد لمنحنيات جسدها الممشوق، بلونه الرمادي

والذي يزينه وردات من الكريستالات الفضية، والذي اختارته لها أختها ورغد بعناية فائقة وأقنعتها بارتدائه بعد عدة محاولات من رفضها لإرتداء أي ألوان ما عدا الأسود دلالة على استمرار الحداد....

تلاقت الأعين و اندمجت النظرات وكأنها تتحدث بدلا عنهما... قطع عليهم تبادل أحاديثهما الصامتة ترحاب إيهاب بعروس ولده الأكبر:

— أهلاً أهلاً بعروستنا القمر... ماشاء الله تبارك الله، تعالي ياهبة اقعدي و سمعينا رأيك.

ألقت هبة التحية على الجميع وجلست حيث أشار لها إيهاب بجواره، بينما انشغلت سما ورغد بتقديم الحلوى والعصائر.
تكلم إيهاب:

— ها يا عروسة موافقة على الشاب الأمور ده وإلا مش موافقه و يقوم يمشى خلاص... قالها بممازحة حتى يقلل حدة التوتر و الخجل.

أجابته هبة بابتسامه هادئة وصوت يكاد يكون مسموع:
— اللي بابا ومحمد يشوفوه.

— بابا و محمد موافقين و مستتين رأيك.

ضمت هبة كفيها على بعضهما بتوتر و كادت الدموع تنهمر من شدة خجلها و كالعادة أنقذتها رغد من هذا الموقف الصعب.

— خلاص يا سيادة المستشار ماتحرجهاش أكثر من كده....
هي موافقة هنقرا الفاتحه و إلا آخذ بناتي و أدخل جوه تاني.

قهقهة الجميع على تهديدها الصريح أما إيهاب فرفع يده
مستسلما:

— لياست الكل هنقرا الفاتحه.

رفع الجميع أيديهم قارئين لسورة الفاتحه تأكيدا على
كلامهم و اتفاقهم حتى نطق الكل مجمعين...

— ولا الضالين آمين.

تبادلوا جميعا المباركات و التهاني، أما العاشق الولهان و
الذي أبهر الجميع حين أخرج من جيب سترته الأنيقة علبة فضية
و بها الخاتم الرائع طالبا من والدته أن تلبس إياه لصغيرته فهو
إلى الآن لا يحل له أن يلمس أناملها.

سُرت رغد وهي تشاهد الخاتم لأول مرة:

— إيه الجمال ده... طلعت مش ساهل خالص انت يادكتور، و
بعدين انت بقى كل ما تهحب تلبسها حاجه هتسلمها لي... لا، إيه
رأيكم نعقد القران مع الخطوبة و الشبكة.

ثم نظرت حيث يجلس زوجها بصحبة إبراهيم و محمد.

أعجبت إيهاب الفكرة:

— و الله فكره كويسة جدا، خصوصا إنهم مش هيتأخروا
في الزواج و محتاجين يجهزوا متطلبات بيتهم، لكن الرأي الأول
و الأخير للحاج إبراهيم و محمد بعده.

رد إبراهيم:

— إنت أبوها ياسيادة المستشار و اللي تشوفه في الصالح
تعمله من غير ماترجعلي.

رغد بفرحه و امتنان لثقتهم بزوجها :

– يبقى على خيرة الله، و أوعدك يا حاج إبراهيم غنك مش
هتتدم على ثقتك الغالية دي والإسبوع الجاي ان شاء الله نكون
حجزنا مكان هاديء نحتفل بعقد القران و تلبس الشبكة اللي
هننزل نشترها بكرة إن شاء الله.

تتحنح رامين :

– بعد إذنكم طبعاً ، أنا محتاج أتكلم مع هبة على انفراد
لكن في وجودكم.

تفهم إبراهيم :

– طبعاً يا بني ده من حقكم دلوقتي ، اتفضلوا اخرجوا البلكونه ،
هبة و سما عاملين قاعده حلوة هتعجبك وحتى تشوف عصافير هبة ،
لإن دول هتأخذهم قبلها ، أنا راسي وجعتني من صوتهم.

ابتسم رامين لحديثه مجيباً :

– أي حاجه تخص هبة و بتحبها أكيد هتتور حياتي و هكون
أسعد إنسان لو احتفظت بيها.

نظر جميع من بالمجلس له نظرة إعجاب و تقدير على هدوءه و
احترامه و حبه لهذه الفتاة وطريقة تعبيرة عن هذا الحب.

اصطحبت هبة رامين لمجلسها الخاص هي و أختها ، حاولت
كثيراً إخفاء خجلها و توترها فهي كثيراً ما تعاملت مع رامين
كابن لرغد و إيهاب حتى حينما عاونها بدراستها لم يتحدثا بغير
المحتوى الدراسي ، أما الآن فهو الشخص الذي تمناه قلبها و نالة
أخيراً.

كسسر رامين حاجز القلق حينما تحدث لها :

_ مبروك يا هبة.... يارب أقدر أسعدك.

هبه بصوت خفيض:

_ الله يبارك في حضرتك.

قهقهة رامين فنظرت له معتقدة أنه يستهزأ بجديتها فرفع يدها مستسلما و اليد الأخرى أشار بها على غلق فمه حتى جعلها تبتسم هي من فعلته هذه.

_ في واحد تقول للراجل اللي لسه قاري فتحتها، وفرحهم كمان أسبوع حضرتك... قولي رامين نفسي اسمع اسمي منك يا هبة.

ردت و الخجل يحتل كيائها :

_ مش عارفة دلوقتي ممكن تسيبها تيجي لوحدها.

_ طيب أنا مش هاضغط عليك... بس أنا كنت عاوز أسالك على حاجات.



الفصل الثاني عشر

تحفرت حواس هبة بعد جملته و انتبهت بشدة:

— اتفضل إسأل.

— إنتي تحبي فرحنا يكون شكله إيه ؟ أنا عاوزك انتي اللي تختاري.

— أنا معنديش تخيل معين لكن كنت اتمنى أنه يتعمل ببساطه علشان وفاة ماما.

— علشان كده أنا طلبت اتكلم معاكي ، لما حسيت إنك اتضايقتي وقت ما والدتي قالت عن الفرح والقاعه.

— لا طبعا متضايقتش و لا حاجه ، الموضوع كله إن ماما ليها شهور بس متوفيه ، و الناس يعني هتقول نسوا أمهم ، لكن كمان مش عاوزه أحرمة عمي إيهاب و طنط رغد من فرحتهم بيك.

أنا كل اللي يهمني إنتي و إنك تكوني مرتاحه و مبسوطه وعلى فكرة أنا متأكد أن ماما و بابا كمان هيراعوا جدا الموضوع دا ، لكن الفكرة في إننا نحجز مكان علشان لازم نعزم الناس والأقارب يعني علشان الإشهار ، و لإنني نفسي الدنيا كلها تعرف إنك بقيتي مراتي.

غمرت السعادة قلب هبة الصغير... فكم تمنيت رجلا مثل رامين يحافظ على مشاعرهما و يهتم بأدق تفاصيل حياتها... بينما كان رامين يداعب عصفورها الصغيران داخل القفص

الحديدي محدثا إياها :

– شكلهم جميل أوي واضح إنك بتحبهم جدا.

– أيوة بانسى معاهم كل حاجه ، بحس اد إيه هما بيحبوا بعض.

– بس أكيد مش هتتسيني معاهم... لإنك هتتأكدي إنني بحبك أكثر ما هما بيحبوا بعض.

ازدادت حمرة الخجل بوجنتها و أصبحت تشبه ثمرة الفراولة حتى أشفق عليها رامين:

– إيه ده وأنا كل ماهقول كلمة هتقلبي على فراولايه كده ، تؤتؤتؤ مش هينفع كده يا هبتي.

هبة مندهشة:

– هبتي.

– طبعا إنتي هبة ربنا ليا يعني هبتي.

لم تستطع هبه الرد على كلماته الراقية و إحساسه المرهف ، فكم السعادة التي تشعر بها الآن لا يضاهيها شيء ، حاولت التهرب منه بسؤاله:

– ممكن أسالك أنا عن حاجه.

– أكيد طبعا ، اتفضللي.

– في أي حاجه فيا حابب أغيرها.

– لا طبعا (ابتسم ابتسامة ساحرة) كلك على بعضك حلو ، من هدوءك...لأخلاقك... لشيكاتك ، ولو ليا طلب هيكون

إنكِ تحبينني و بس و ماتت كسفيش مني و تطلبي أي طلب من غير
حتى ماتت فكري.

كادت هبة تطير من فرط سعادتها و أجابت بكل حب:
_ حاضر.

انتهاز رامين الفرصة:

_ حاضر إيه؟ هتحييني.

هبة محاولة الهروب من الإجابة و من إحراجها:

_ تقريبا طنط رغد بتنادي عليا.

ولم تعطه فرصة للحديث وعادت لتختفي بين عائلتها مخفية
خجلها من حديثه المعسول والمحبيب لقلبها، لحق بها رامين
مخفيا هو الآخر ابتسامته على هدوئها و خجلها اللذان أوقعاه
صريع هواها.

لم تخف لمعات الحب و السعادة الواضحة في عينيها عن
المحيطين بهما و خاصة رغد و كم سعد قلبها لرؤيتهما هكذا
ودعت الله من كل قلبها أن يديم هذه السعادة على الجميع.

انقضى اليوم و تعلق الآمال بالغد لكي تبدأ التجهيزات
السابقة لعقد القرآن الذي اتفق على أنه سيكون خاليا من
الضجة و الغناء و أولها شراء الشبكة.

باليوم التالي حضرت رغد كعادتها للفتيات بعد أن انتهت من
جميع متطلبات منزلها و عائلتها كان من المفترض أن يتقابلا
مع رامين مساء لشراء الشبكة، لكن رغد فوجئت بهبة تعتذر
لها حتى لا تترك أختها بمفردها أثناء حضور والدي مراد، وما

كان من رغد غير الموافقه وتأجيل شراء الشبكة، وقامت بدورها بإبلاغ ولدها، فهي علي يقين تام من صعوبة هذه المقابلة على سما وجميع من بالمنزل.

حل المساء و حان الموعد المنتظر لقدوم الشيخ محمود وزوجته، واعتقد الجميع أن مراد سيتطفل وافترضوا حضوره بالموعد، ولكنه خالفه توقعاتهم فحين ارتفع صوت جرس باب المنزل وقام إبراهيم لاستقبال الضيوف وجدهما لحالهما بدونيه. بدأ الشيخ محمود بالسلام:

— السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد إبراهيم مرحبا:

— وعليكم السلام... أهلا وسهلا، اتفضل ياشيخ محمود، اتفضلي يأم مراد.

ابتسمت سعاد:

— و عليكم السلام، يزيد فضلك يا بومحمد، مبروك نجاح عروستنا (قالت الأخيرة بتأكيد أنها تخصهم هم).

تنبه لحديثها رغد وإبراهيم.

ظهرت رغد لتحيتها:

— سلام عليكم، إزيك يا مدام سعاد، إزيك يا شيخنا.

محمود بلطف:

— وعليكم السلام أهلا بحضرتك، إحنا الحمد لله بخير، كيف الأحوال؟ إزي صحة سيادة

المستشار ؟

ابتسمت رغد :

– بخير الحمد لله، وبيسلم على حضرتك ومدام سعاد.

سعاد التي تكاد تموت غيظاً من وجود رغد :

– الله يسلمه، ياريتة كان موجود و الله علشان يشاركنا القعدة زي حضرتك كده.

رغد وقد تفهمت المعنى المبطن من حديثها :

– هو كان هنا امبارح أصل قرينا فاتحة هبة لرامين ابني، و كتب الكتاب الإسبوع الجاي إن شاء الله.

سعاد وقد اشتعلت الغيرة بداخلها فكم تمنّت أن تقترب هي من الفتاتين لعلها تغير شرط سما بزواجها من ولدها، و لكن الآن وجود رغد واقتربها أكثر منهما سيمنعها من تنفيذ مخططها ولكنها وجدت لها فرصة سانحة لكي تفتح عائلة سما بأمر إتمام زواج ولدها منها، خرجت سعاد من أفكارها و تخطيطها حين استمعت لرد رغد على مباركة زوجها :

– الله يبارك فيك ياشيخ محمود عقبال ماتفرح بابنك إن شاء الله.

لترد سعاد بسرعة :

– يارب يا حبيبيتي، ومبروك لابنك وهبة ربنا يتم فرحتهم وتشوفي ولادهم.

– اللهم آمين.. أستأذن أنا أنا ديلكم سما.

غادرت و سعاد ترمقها بنظرات لها القدرة على إحراقها ، فهي
تود قتل تلك الرغد و التخلص منها ، و لا تستوعب فكرة وجودها
المستمر هكذا في المنزل و حريتها فيه و كأنه منزلها .
دخلت رغد غرفة الفتيات لتجد سما بحالة نفسية محطمة و
دموعها تكسو و جنتيها وشهقاتها تتسارع .

اقتربت منها محتضنة إياها :

– خيرا حبيبتي مالك؟ إيه كل العياط ده؟.

بادرت هبة بالتوضيح :

– مش عاوزه تخرج وتشوف اللي اسمه مراد ده .

طمأنتها رغد :

– هو مش معاهم يا قلبي اللي بره مدام سعاد و الشيخ محمود

بس .

هدأت سما قليلا ، وبدأت بمسح دموعها ، وساعدتها رغد على
تجهيز ملابسها ، ثم اصطحبت هبة لتجهيز الضيافة من أجل
تقديمها .

و بينما كانت رغد بالداخل مع الفتيات ، تحينت سعاد
الفرصة لتبدأ حديثها عن إتمام الزواج دون تدخل من رغد قائلة :
– يعني يا حاج إبراهيم حددت ميعاد فرح هبة قبل ماتحدد ميعاد
فرح مراد وسما ، ده إحنا جهزنا كل حاجه خلاص ، ومستنيين
العروسة تيجي تشوف جهازها .

– كان لازم أحدد فرح هبة قبل سما يا ست سعاد ، وإلا عاوزه
الناس تآكل وشنا وتقول جوز الصغيرة قبل الكبيرة ، ماهو

ماحدث يعرف اللي حصل علشان يقدر ويسكت وكلام الناس
هو اللي عملنا حسابه من الأول ولازم نكمل للآخر.

محمود متداركا الموقف:

— معاك حق طبعا يا حاج إبراهيم، ولو إني شايف إن الناس في
كل الاحوال مش هتسكت.

— أهو نعمل اللي علينا يا شيخ محمود.

تدخلت سعاد بالحديث:

— طيب يا حاج إبراهيم شوف الميعاد اللي يناسبكم علشان
نحجز قاعة الأفراح.

لم يستطع إبراهيم الرد بعد ما جاءت إجابة سما حاسمة و
قاطعة:

— قاعة أفراح لمين ياطنط ؟، هو حضرتك نسيتي إن والدتي
اتوفت بقهرتها عليا.

حاولت سعاد تدارك الموقف:

طيب تعالي سلمى علينا الأول و خلىنا نباركلك.

اقتربت سما وصافحت كلا منهما.

ابتسم محمود:

— مبارك عليكى نجاحك يابنتي عقبال الشهادة العليا، و أنا
معاكي زي ما وعدتك.

ردت سما:

— الله يبارك في حضرتك يا عمي، ربنا يدريك الصحه و تنفذ

وعدك ليا.

كالعادة اقتحمت سعاد الحديث:

– شوفي ماما سعاد جابتلك إيه هدية نجاحك.

ثم أخرجت من حقيبتها علبة قطيفة بها سلسال من الذهب
الأصفر متدلي منها حلية على شكل كلمة الله.

نظرت لها سما متجهة الوجه:

– شكرا لحضرتك طبعاً ، وكان كفاية كلمة مبروك.

– لاء أبدا و دي تيجي، ده إنتي زي بنتي، ما أنا لو كان ربنا
كرمني ببنت حلوة زيك كده كنت هجيبلها هدية نجاحها.

– أنا هديتي إن حضرتك تراعي مشاعري و تقدرني حزني إني
كنت سبب في وفاة أمي وتوافقي إن مانعملش فرح، و نحتفل
هنا أو في أي مكان زي قاعة بمسجد مثلاً من اللي مخصصة
للمناسبات دي.

بادر محمود بالقول:

– و الله عين العقل يابنتي اهو منها إشهار، و منها مراعاة
لحالة الوفاة.

اعترضت سعاد:

– بس دي هي ليلة في العمر يابنتي و لازم أشوف رأي مراد إيه.
نظر لها الجميع باستنكار متعجبين، فهل من المفترض أن
يكون لذلك المراد رأي بعد ما فعله وما وضعهم به جميعاً.
أتت رغد وهبة تحملان الصواني وعليها الحلويات الشرقية

والمشروبات و قدماها إليها بعد أن قامت هبة بالترحاب بهما.

قالت سعاد :

— ها يا حاج إبراهيم حدد الميعاد ، لو هبة الإِسبوع اللي جاي
إيه رأيك يكون فرح سما ومراد الإِسبوع اللي بعده.

إبراهيم موجهها حديثه لسما :

— إيه رأيك يا سما ؟.

فنظرت سما لرغد متعمدة مضايقة سعاد :

— ماما رغد إيه رأي حضرتك.

أومأت رغد برأسها :

— أيوة يا حبيبتي ما تقلقيش كل حاجه هتخلص إن شاء الله.

استسلمت سما لقدرها :

— خلاص يا بابا شوف حضرتك اللي يريحك.

تنهدت سعاد :

— يبقى على بركة الله هشوف بس رأي مراد في موضوع
الفرح.

ارتسم الغضب على ملامح سما :

— ياريت حضرتك تبلغيه إن دي رغبتى و لو حب يعمل فرح أنا
مش ها حضره.

رفعت سعاد حاجبيها و زمت شفتيها :

— إيه يا سما ، انتي كل طلباتك بتتنفذ ، لكن بردة كل
حاجه بالأصول ، و الفرح ده هيكون ليكي قبل مايكون ليه.

اعترض إبراهيم:

— تقصدي إيه يا ست أم مراد بكلامك.

احتد النقاش وكان لا بد من وجود طرف ينيهه وتولى هذه المهمة الشيخ محمود حيث صاح بزوجته قائلاً:

— خلاص يأم مراد ، سما حلتها من الأول، وحقك على رأسي يا حاج إبراهيم، أم مراد ماتقصدش حاجه وحشه.
زفر إبراهيم:

— حصل خير يا شيخ محمود ، إحنا بقينا أهل ومش هينفع كل واحد فينا يدقق على كل كلمة وأنا شايف إن كلام بنتي عين العقل، وعلى فكرة الدكتور رامين هو بنفسه اللي طلب إن عقد قرانهم يتعمل على الضيق ويحضره الأهل بس للإشهار وده كله مراعاة لمشاعر هبة ومشاعرنا ، يعني المفروض كانت جت منكم إنتم وإلا إيه يا شيخ محمود؟!

محمود خجلاً من حديث زوجته:

— معاك حق يا حاج إبراهيم ، وزى ما اتفقنا ، بعد فرح الأنسه هبة بإسبوع هيكون الفرح وأنا هاشوف قاعات المناسبات اللي بتتبع المساجد و احجز في المتاحه منهم وأبلغكم.
تساءلت سعاد:

— طيب و هنجيب الفستان إمتى وإلا ده كمان مش عوزاه يا سما.
جاءها الرد من رغد:

— لا إزاي هو في عروسه من غير فستان ، أكيد هتجيب أجمل فستان.

ردت سعاد :

— طيب يامدام رغد شوفي حضرتك هتنزلي مع هبة تشتري
فستانها إمتى و أنا آجي معاكم ده بعد إذنكم طبعاً علشان
نشتري لسمما كمان.

رغد و هي تتظر لسمما تترجاها ألا ترد حديثها :
إحنا إن شاء الله هننزل بعد بكرة لأن بكرة بأمر الله رايعين
نشتري الشبكه.

وجدتها سعاد فرصة يجب اقتناصها :

— إحنا كمان عاوزين نشتريها شبكتها ، شوفي يوم ننزل
فيه بعد إذن الحاج إبراهيم طبعاً ، وحضرتك تكوني معانا
يامدام رغد.

إبراهيم متعمداً إحراجها :

اسمعييني يا ست سعاد أمور التجهيزات و الشبكه و الحاجات
دي مواضيع حريمي شوية و الست رغد في مقام أمهم ، و القرار
اللي هتاخده أنا موافق عليه فتقدري تتفقي معاها هي.

قالت رغد بامتنان :

— كتر خيرك يا أستاذ إبراهيم و يارب أكون أد الثقه دي.

حاولت سعاد إخراج نفسها من هذا الموقف المحرج لها :

معاك حق والله يا حاج إبراهيم ، دي أمور حريم فعلاً وأنا شايفة
إن البنات متعلقين بالست رغد و بينفذوا كلامها.

توجت لها نظرات كلا من سما وهبة و رغد ، داعين الله

أن يرحمهم من لسانها السليط، بينما شعر الشيخ محمود بمدى وجود إنهاء هذا اللقاء فيكفيه ما تفعله زوجته قبل أن تشعل الجلسة بأفكار أخرى، وقرر الانصراف.

— نستأذن إحنا يا جماعه، الوقت إتأخر، و معلىش يا مدام رغد إن كنا هنتعبك معانا.

— لا أبدا ولا تعب ولا حاجة سما بنتي.

تتهدت سعاد:

— طبعا، اديني رقم تليفونك يا مدام رغد، علشان أكلملك نتفق على ميعاد.

— آه طبعا اتفضلي.

تبادلنا أرقام الهواتف، وسلم محمود وزوجته على الجميع و انصرفا.

مر الإِسبوع الأول على الجميع بين تجهيزات لحفل عقد القران وتحضيرات لزفاف سما ومراد ولم تتقاعس رغد عن شراء كل مايخص الأختان، عانت الكثير لتوفيق الأوضاع بين سعاد وسما وكم تدخلت لإنهاء إختلاف الآراء والجدل بينهما.

واليوم هو موعد حفل القران و بحلول المساء ذهب رامين بصحبة أخيه و ابن عمه ليصطحب عروسه من أحد مراكز التجميل، بينما ذهب إبراهيم و إيهاب لاستقبال المدعويين بقاعة المناسبات التابعة لنادي القضاة.

وأثناء انتظار كلا من رامين و أخيه رايان و ابن عمه روجان أمام مركز التجميل، خرجت إليهم رغد بصحبة حوريتان من

الجنة وهي تتأبط الأختان ليقترب منهم رامين تائها بحوريته
وجمالها الفائق فما أروعها بهذا الفستان من اللون الكاشمير
المطعم بالكريستال وشعرها المتدلي كأميرات ديزني فلا أول
مرة يرى شعرها ولونه الكستنائي، وكم أزعجه أن يراها غيره
بهذا الجمال، وقرر أن يعاتبها فيما بعد، فهو لم يكن على علم
بأنها ستظهر شعرها وإلا كان رفض ذلك، ولكن هذا ليس
وقت للعتاب فالיום للسعادة فقط، ولم يكن وحده التائه فهناك
من غاب عن وعيه من جمال تلك الحسنة الأخرى والتي حمد
الله أنها ليست زوجته ابن عمه وإلا اختطفها منه، فقد سرقت لبة
من النظرة الأولى فاقترب هو الآخر من ابن عمه راين متسائلاً:

— مين القمر اللي في ايد رورو دي.

أجابه راين:

— دي سما أخت هبة.

تنهد روجان:

— اسمها سما دي سما بنجومها وقمرها.

راين بحركة مسرحية وكأنه يعزف على آلة الكمان:

— تيرا رارا فوق يا دكتور دي متجوزة.

راين بصدمة:

— إيه دي متجوزة دي شكلها أصغر من عروسة رامين.

— فعلا هي الصغيرة لكن للأسف مكتوب كتابها وفرحها
الإسبوع الجاي، لكن إيه حكايتها حكاية.

روجان بمكر:

— طيب ماتحكيلى وإحنا فى الطريق، ما إنت هتركب
معايا أهو نتسلى.

— لا، دي خصوصيات ناس و ماينفعش اتكلم فيها يا دكتور.
— من امتى ياهندسه الأخلاق العالية دي، عليا انا !! بتخبى
على أخوك، طيب ابقى شوف مين هيجللك مشاكلك إنت و
الست روجين هانم.
زفر بضيق:

— ماتفكرنيش بأختك المجنونة دي، إيه الفستان اللي هي
لبساه النهارده ده أنا مسكت نفسي بالعافيه، و إنت إزاي تنزلها
من البيت كده، إيه مافيش نخوه خالص.
تجاهل روجان كلامه:

— طيب يلا اركب، طنط رغد أخذت النجوم معاها فى
عربيتها و أخوك ركب مع عروسته فى عربيته و انت طلعت من
حظي.
— يلا ياسيدي.

استقلا السيارة وحاول روجان كثيرا أن يعرف أية تفاصيل
عن سما، و لكن رايان لم يعطية أية إجابات.



وبسيارة رامين كانت السعادة ترفرف على السيارة و تحيط
المتواجدين بها بهالة من الحب، وكاد رامين يطير من فرط
السعادة فالיום معشوقته ستكون على اسمه وزوجة له فحدثها

قائلا:

— مبروك ياهبتي.. زي القمر يا حبيبتي.

هبة وقد وقعت بالفخ فأجابته بتلقائية:

— لا والله انت زي القمر برده.

أدركت ما قالت أو بمعنى اصح ما استدرجها لقوله فتوردت
وجنتها خجلا....

فقهقه رامين على خجلها حتى كادت أن تبكي من فرط
خجلها فلم يستطع رؤيته الدموع التي تالأت في عينيها وما أن
رآها امتدت يدها لتجذب يدها معذرا:

— آسف حبيبتي والله، إوعي أشوف دموعك دي أبدا، وبعدين
يا قلبي إنتي بتتكسفي مني ده كلها دقايق وتبقي مراتي، خلاص
ياهبتي بقى لوليا غلاوة عندك مش عاوز أي دمع بعد النهارده، أنا
في الدنيا علشان أسعدك وأحبك وبس.

ابتسامه هادئة تسالت إلى وجهها أنارته بالسعادة والحب،
فقررت ترك خجلها من الآن فصاعدا:

— ممكن متكسفنيش تاني.

رامين وهو يشير على عيناه:

— من عيوني يا قلبي.



الفصل الثالث عشر

وصلا إلى مكان القاعة ومع نسيمات الصيفية العليلة وأمواج بحر الاسكندرية المتلاطمة والتي تصطدم بجدران القاعة من الأسفل يزداد رونق المكان.

تتاغما مع ظهور العروسين كنجمين يتلأأان بسماء الاسكندرية الصافية وقف الجميع مصفقا وتم عقد القران، وأصبحت هبة إبراهيم الخولي زوجة رامين إيهاب رضوان.

تعرف باقي أفراد العائلتان على بعضهما البعض واحتضنت يد رامين يد هبة ليعرفها على جميع أفراد عائلته ويفتخر بها وهي في قمة سعادتها وبينما كانت سعادة رامين وهبة تملأ المكان كان هناك قلوب أخرى تنتفض بأجساد أصحابها، فقلب سما يرتجف قهرا كلما اقترب ميعاد انتقالها لمنزل مراد وعائلته، وازدادت ارتجافته حين وجدته يطل عليهم ببذلة الانيقة و ذقنه المشدبه وكأنه يقول لها أنا لست كما عرفتيني فقد تغيرت ولكنها لن ترضى عنه مهما فعل، أما عن قلب مراد فزاد شوقه وولعه بسماه بعد أن رآها بذلك الفستان الذي أبرز أنوثتها وجمالها الطاغي بلونه الأحمر الأرجواني الذي أظهرها كنجمات السينما، واشتد غضبه داخلة حين انتبه لتلك العيون المسلطة عليها، وعلى رأسهم ذلك الهائم على عكس طبيعته الجاده وشخصيته القوية والتي ازدادت حين التحق بكادر

التدريس كدكتور للقانون الجنائي بجامعة الإسكندرية، إنه روجان رضوان ابن أخ إيهاب والذي وقع أسيرا في حب هذه السما من النظرة الأولى.

حينما رأت سعاد ولدها، ولاحظت نظراته الزائغة على سما و حبه الواضح بقوة في نظرتة لها، كاد قلبها ينفطر عليه و على قلبه الملتاع، تمتن لولم يفعل بها مافعل، أو أنه لم يراها من مبتدأ الأمر.

انتهى الحفل و عاد كل إلى منزله و من الغد ستبدأ الاستعدادات لزفاف سما.

أما رامين و هبة فقد تقريبا و أصبحا جزء لا يتجزء من بعضهما البعض يستيقظ على ميعاد استيقاظها حتى يكون أول من يلقي عليها تحية الصباح، لا يأكل بدون أن يطمئن أنها تناولت طعامها. تعيش هبة أسعد أيام حياتها، بينما على النقيض أختها سما و التي تعيش أصعب أيامها، مع اختفاء كل من محمد و والده من الصورة سعيا على الرزق حتى يستطيعا تجهيز الفتاتان فحتى ولو تحملت عائلة رامين معظم تكاليف الزواج و كذلك أهل مراد الذين جهزوا منزلهم لاستقبال سما دون مشاركة منها، إلا أنه يتبقى لهم بعض الأشياء وعليهم الوفاء بها.



مر الأسبوع الثاني و اليوم هو يوم زفاف سما على مراد أو بالمعنى الأدق هو يوم انتقالها للمعيشة بمنزل عائلته و التي تم تجهيز غرفة خاصة لها بها منعزلة بمفردها عن غرفة مراد.

ارتدت سما فستانها وقامت إحدى خبيرات التجميل بتزينها بعد أن رفضت الذهاب إلى مراكز التجميل وأصرت أن تخرج من منزل والدها عروسا ، وما أن أتى مراد والدته ليصطحبها لقاعة المناسبات الملحقة بمسجد سيدي جابر الشيخ بمنطقة شرق الاسكندرية ، وراها مراد حتى انتفض قلبه و علت دقاته و شرد بوجهها الملائكي ، فكم كان مريضا حينما اعتدى عليها مفسدا حياته و عليه المصابرة حتى يستطيع أن يصل لقلبها ، أمسك كفها ليقربها منه حتى تتأبط ذراعه لكنه شعر بارتجافة جسدها و رفضها لتلك اللمسة حتى و إن كانت على المملأ و بحقه بها شرعا و قانونا ، فهمس لها :

— أنا عارف إنك رافضه بمسكة إيدي ، لكن غصب عني ، أنا آسف ما فيش عريس و عروسه يمشوا بعيد عن بعض .

أومأت برأسها دليلا على الموافقه و تأبطت ذراعه ، وصلا إلى مكان القاعة وكانت منقسمة لقاعتين إحداهما للسيدات و الأخرى للرجال و هذا أشعرها ببعض الراحة ولو لوقت محدود ، انتهى الحفل وودعت عائلة إبراهيم الخولي ابنتهم و احتضنتها رغد التي طمأننتها بحديثها :

— ماتخافيش أنا في ضهرك و عمري ماهسيبك كل يوم هكلمك و اطمئن عليكي و هاجيلك أنا و هبة .

احتضنت هبة أختها ودموعها تنهمر على وجنتيها :

— هتوحشيني يا حبيبتي لكن هجيلك كل شويه ، و كلها شهرين و الجامعه هتبدأ و نتقابل كل يوم .

ابتسمت سما مطمئنه لهما و لم تذرف دموعها إلا وقتما
احتضنها أخوها :

– حبييتي و بنتي إوعي تخافي و أنا موجود ، لو حد ضايقك
هاقتله ، أخوكي عايش و بيت أبوكي موجود و إحنا خلاص
عملنا اللي عاوزينه و مش هيهمنا كلام حد بعد النهاردة ، اوعي
حد يغصبك على حاجه انتى مش عوزاها .
سما ببكاء :

– ماتخافيش عليا ، أنا أقوى من زمان بكثير وزي مانجحت
وسط الظروف اللي مرينا بيها ، أوعدك إنى هأكبر فوق ما
تتخيل .

رأى إبراهيم دموع ابنته و إدعائها القوة فاقترب منها يربت
على يدها محتضنا إياها :

– سامحيني يا بنتي و بكرة تعرفي إنى خوفت عليكى و
على إخوانك ، سامحيني يا سما .

حاولت رغد التدخل و التقليل من حدة الموقف :

– إيه يا جماعه كفاية بقى المكياج هيضيع و يلا يا عروسه
مع السلامه .

تركت سما الجميع و اقتربت من إيهاب الذي وقف مكانه
يشاهد من بعيد بينما حملت نظراته كثيرا من المعاني فهمتها
سما جيدا :

– أنا عارفه إن حضرتك في ضهري و هتسندني قبل ما أقع ، و
أوعدك إنك تفتخر بيا في يوم من الأيام و تقول البنت دي تلميذتي .

ربت إيهاب على يدها بينما ارتسمت ابتسامة ثقه واقتخار بهذه
الفتاة الصغيرة سنا و الكبيرة عقلا مجيبا إياها :

— أنا واثق فيكي وفي ذكائك يا سما ومش هاقول وقتها
تلميذتي هاقول بنتي سما.

اقتربت سعاد مودعة إيهاب و عائلة سما ممسكة بيد سما
معلقة إياها بيد مراد حتى يذهبوا لمنزلهم.

عادت كل عائلة لمنزلها وبمنزل الشيخ محمود أضاءت الأنوار
جميع أركان المنزل كما أنارته سما بليلتها الأولى به ، وكم
سعدت حينما أشارت لها سعاد على غرفتها بينما تحدث محمود :

— دي غرفتك يا سما يا بنتي ، أنا عارف إنك رفضتي تيجي
تشوفيتها قبل كده لكن و الله العظيم وده قسم يحاسبني عليه
ربنا إن من بعد ما أختك و الست رغد دخلوها ووضعوا فيها
ملابسك وخصوصياتك أنا قفلتها بمفتاح و أهو هسلمهولك
دلوقتي و مافيش حد دخلها قبلك غيرهم.

— شكرا يا عمي لحضرتك و لحفاظك على و عدك ليا.

كالعادة تدخلت سعاد في الحديث :

— يعني يا بنتي ربنا مش هيهديكي و تسامحي و تعيشوا
حياتكم طبيعي.

و قبل أن تجيب سما جاءتها إجابة مراد ناسفة لكل أحلام
سعاد :

— لا يا أمي حتى لو سما سامحتني ، أنا مش هسامح نفسي ،
و أنا يا بنت الناس اطمني مش هقرب منك و لا أضايقك أبدا ،

لكن ليا رجاء عندك.

انتبهت سما لحديثه و استعدت لإجابته إن لم يعجبها رجاءه:

— اتفضل.

— انتي دلوقتي مراتي و اسمك على اسمي، حتى لو مافيش
بيننا حاجه فالناس متعرفش كده اتمنى تحافظي على اسمي،
ويا ريت لو احتجتي أي حاجه فأنا أولى الناس ببيكي وبمطالبك
كلها، لكن لو على أي حقوق ليا فأنا بعفيكي منها.

زفرت سما بحنق:

— أولاً، لوعلى الحفاظ على اسمك فده إنت مش محتاج تأكد
عليه، أما بالنسبة لطلباتي فبعد إذن عمي محمود و الذي عمل
وديعه باسمي و أنا إن شاء الله هحاول أصرف على تعليمي من
الربح بتاعها، هو يمكن مش هيكون كبير لكن بأمر الله
هيكفيني.

رد محمود و قد ارتسم الضيق على وجهه:

— لا يا سما يابنتي انتي مسؤوله مننا، و أنا ليا كلام مع
و الدك لأنه كده و باللي عمله ده بيهيني أنا شخصيا و انتي
مترضيهاش لعمك محمود.

تتهدت سعاد:

— ربنا يهديلكم الأحوال، تعالي يا بنتي أساعدك و أفكلك
الطرحه علشان ترتاحي.



انقضت الليلة الأولى لسما، وانقضت بعدها أيام وليالي عدة، تتعامل معهم بحدود ويعاملونها كابنتهم، لم تياس سعاد من محاولاتها للم شمل ولدها وزوجته، بينما سما لم تعرها اهتماما في ذلك الأمر، ولكنها دائما ما كانت تساعدتها بالأعمال المنزلية، وطلبت من الشيخ محمود بإحدى المرات التي استمعت له فيها وهو يتلو القرآن الكريم أن يساعدتها على حفظه وسر الشيخ محمود أيما سرور بذلك واستجاب لطلبها وكانت دائما تذهله حين يطلب منها حفظ جزء من أجزاء القرآن ويجدها حفظته بأكمله في وقت قياسي وبإتقان تحسد عليه.

مرت الشهور وبدأ العام الدراسي والتحقت سما بكلية الحقوق واليوم ستتلقى أولى محاضراتها.

ذهبت لكليتها وقامت بنقل جدول محاضراتها ودخلت للمدرج حيث ستتلقى أول محاضراتها وكانت من أول الواصلين للمدرج وبداخلها إصرار وعزيمة على النجاح، جلست بأول صف حتى لا يؤثر على استماعها أحد الطلبة المستهترين، لم تكن تعلم أن دكتور هذه المادة من أقوى الشخصيات بين زملائه، ولا يستطيع أحد الطلبة أن يرمش له جفن أثناء إلقاء المحاضرة.

بدأ الطلاب بالدخول للقاعة وبالموعد المحدد دلف الدكتور وعينه تجوبان القاعة بأكملها وبدأ بتعريف نفسه لطلابه وطلباته:

– السلام عليكم، أنا الدكتور روجان رضوان اللي هدرس لكم مادة القانون الجنائي وهنكون مع بعض الأربع سنين اللي جايين بإذن الله، فياريت بعد المحاضرة تسألوا عني كويس

زملائكم اللي سبقوكم لأنني من بكرة هيكون في تعامل ثاني خالص، نبدأ المحاضرة علشان ماضيعش وقتكم.

بدأ الدكتور بالقاء المحاضرة، وسما تدون كل كلمة وحرف بمنتهي الدقه و لم ترفع وجهها من دفتر التدوين حتى لفت انتباهه هذه الطالبه وقررأن يفتح بها العام الدراسي ويؤنبها على عدم انتباهها وإنصاتها له فصاح قائلاً:

— انتي يا آنسه ياللي بتكتبي و أنا بشرح.

نظر له الجميع و كل يعتقد أنه يحدثه حتى انتبهت سما أنه يحدثها هي.

فأشارت لنفسها و هي تقول:

— حضرتك بتكلمني أنا.

و لكنها لم تجد رد فزوجان لم يتخيل و لا حتى بأجمل أحلامه أنه قد يقابل سماه التي سرقت من عينيه النوم من وقت أن رآها بعقد قران أختها و ابن عمه، ظل شاردًا حتى يأسست من رده عليها و جلست كما كانت فحاول إستعادة رباطة جأشة و السيطرة على مشاعره:

— انتي يا آنسه بتكتبي إيه وأنا باشرح.

سما بتلقائيه:

— بكتب شرح حضرتك علشان أقدر أذاكره.

— لا من فضلك انتبهي للشرح وذاكري من الكتاب.

— حاضر يادكتور، أنا أسفه.

— ما فيش مشكله، اتفضلي اقعدي.

جلست سما و لم تتنبه أنه ابن اخ إيهاب و حتى إن كانت تعلم
فلن يفرق معها شيء، ستثبت نفسها دون اللجوء لمعاونة من أحد.
انتهت المحاضرة و خرجت سما من القاعة لتجد روجان واقفا
تلتف حوله الطالبات و لكنه لم يرى غيرها من بينهن، أنه يراها
هي فقط.

أكملت بقيه محاضرتها و عادت للمنزل لتجد سعاد و محمود
بانتظارها على مائدة الطعام فهم لن يتناولوه حتى تأتي فهذا ما
اعتادوا عليه بالفترة الأخيرة خاصة بعد أن اقتربت منهما و
تعرفا على طبيعة شخصيتها الهادئة فهما قد أحباها
كابنتهم.

سلام عليكم.. قالتها سما.

ردا سويا:

— و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

ابتسمت سعاد مربية على كتفها:

— حمد الله على السلامه يا حبيبتي، تعالى اتغدى زمانك
جوعتي أوي.

— آه و الله فعلا المحاضرات كانت كثير و كلها ورا
بعضها.

ابتسم لها محمود:

— تعالى يابنتي كلي و احكيلنا عملتي إيه.

جلست سما :

_ الحمد لله كله تمام، ماعدا دكتور واحد اعترض اني
بكتب كل حاجه وراه، و عاوزني اشترى كتابه.

_ اشتريه يا حبيبتي، خدي الفلوس و اشتريه بكرة، أنا أعرف
إن الدكاترة بيسقطوا اللي مش بيعشروا الكتب بتاعتهم.

تعجبت سعاد :

_ منهم لله يعني البنيه تبقى مذاكرة و علشان الفلوس يعملوا
كده.

رفعت سما كتفيها و أنزلتهما :

_ مش عارفة و الله هو فعلا كده و إلا لاء، أنا هاشتريه
بكرة إن شاء الله.



الفصل الرابع عشر

مرت الأيام سريعاً و سماً تحضر جميع محاضراتها و تسهر الليالي لمراجعته جميع المواد الدراسية ، و لكن دائماً ما كانت تفضل مادة القانون الجنائي، فأستاذها جعلها تحب المادة من شدة إتقانه لشرحها .

بدأت امتحانات نهاية العام الأول.. و اجتازتها سماً جميعها ، كانت دائماً تلجأ لإيهاب لشرح ما يقف أمامها و لكن طوال العام الدراسي لم تتعرف على صلة القرابة بين روجان و إيهاب حتى التقت برايان في اليوم الأخير للامتحانات ووقفت معه تلقي عليه التحية و بادرها قائلاً :

– إزيك يا سماً ، عامله إيه في الحقوق.

– الحمد لله بخير و خلاص النهاردة آخر يوم امتحانات ، إنت بتعمل إيه في مجمع النظري.

– جاي لخطيبتي و بنت عمي روجين مش انتي تعرفيها !!هي معاكم هنا في المجمع لكن هي تجارة انجليزي.

– اعتقد هما عندهم إمتحانات في مبنى آداب.

– هسأل أخوها ، أكيد عارف ماهو دكتور معاكم هنا في حقوق ، انتي متعرفهوش وإلا ايه ؟!

– لا معرفش إن في حد من قرايبكم هنا أصلاً.

– سيادة المستشار بايعك أوي كده! و هو عارف إن ابن أخوه

غلس و لو و قعتي تحت إيده مش هيرحمك.

ابتسمت سما بهدوء على حديثه المرح فدائما ما يضيفى جوا
من المرح ، أثناء حديثهما وجدت رايان يشير لأحد خلفهما أن
يأتي، و حينما استدارت لترى لمن يشير وجدته دكتور روجان
والذي وافته الفرصة أخيرا للتعرف عليها عائليا.

وجه روجان السؤال لرايان:

– انت بتعمل إيه هنا ؟

– جاي لأختك، مصممه تخرج، بتقول خلصت امتحانات و
هي حقها تتفسح.

– أيوه يعني و اقف مع الطالبة بتاعتي ليه.

– آه صحيح أنا معرفتكوش ببعض، دي سما ، و ده الدكتور
روجان، سما تبقى أخت هبة مرات رامين، و روجان ابن عمي يا
سما.

روجان بابتسامه:

– أهلا و سهلا يا آنسه سما.

– أهلا بحضرتك يا دكتور ، عن إذنكم علشان متأخرش.

انصرفت سما و تركت روجان يزاد حيرة فكيف لم تعترض
على كلمة آنسه بينما أخبره ابن عمه أنها متزوجة حين سألها
عنها بعد عقد القران، فقرر محاصرة رايان و معرفة السر الذي
يخفيه عنه و لكن رايان لم يجيبه و حينما أشفق عليه أجابه:

– إسال رورو هي الوحيدة اللي هتفيدك.

علم روجان أن إجابة اللغز عند زوجة عمه و التي اعتاد الحديث معها كصديقة فهي أقرب له ولاخته من والدتهم المحبة للمظاهر و الحفلات و التجمعات النسائية.

التقى رايان بمعشوقته و اصطحابها للتنزه و دعوة على الغذاء بينما عادت سما للمنزل كعادتها اليومية و اليوم قررت أن تخرج لزيارة أختها بمنزلها فمنذ زواجها من رامين لم تقم بزيارتها غير مرة و احده فقط، دلفت للمنزل لتجد سعاد تجلس بمفردها، ألقت التحية عليها، ردت سعاد

التحية لكن بها شيء مختلف اليوم فهي تجلس هادئة على غير العادة، فجلست جوارها متسائلة:

— طنط هو حضرتك تعبانة وإلا حاجة؟

ابتسمت لها سعاد :

— لا يا حبيبتي أنا كويسه الحمد لله، انتي طمنيني عليكي عملتي إيه في الامتحانات.
— الحمد لله جاوبت كويس.

— طيب يا حبيبتي الحمد لله ربنا يوفقك، جعانه أحضرلك حاجة تأكلها تصير له غاية عمك محمود ما يرجع و نتغدى سوا.
— لاهاستنى لحد ما يرجع، بس أنا حاسه إن حضرتك فيكي حاجة و مخبيه عليا، مش دايمًا بتقولي إني زي بنتك قوليلي مالك؟.

— و أكثر من بنتي كمان يا سما و الله، ربنا يعلم أنا حبيبتك أد إيه لما قربت منك، أنا يابنتي قلقة على عمك الشيخ

محمود ، صحته اليوميين دول مش حلوة ، و كل ما أقوله روح
لدكتور يقولي أنا زي الفل.

ربت سما على ظهرها :

— ولا يهمك يا ست الكل ، أنا هاقنعه ، أنا كنت ناوية
أستأذنه النهاردة عشان أزور هبة في بيتها ، وأنا عندها هسأل
رامين جوزها على دكتور كويس ، و بكره إن شاء الله أحجز
له وأروح أنا و هو.

احتضنتها سعاد بحب :

— ألف شكر يا بنتي ، ربنا يبارك فيكي و ما يحرمني منك
أبدا.

بادلتها سما الحضن بمحبه :

— ماينفesch حضرتك تشكريني عمى محمود في مقام بابا
بالظبط ، ربنا يباركلنا في صحته.

عاد محمود لمنزله و لاحظت عليه سما الإعياء الشديد
ولكنه يقاوم و يتظاهر بالقوة فقررت أن تفعل ما اتفقت مع
سعاد عليه ، وما أن بدأوا بتناول الطعام ، حتى استأذنت منه سما
بالذهاب لزيارة أختها و لم يمانع فهو يثق بأخلاقها.

أنهت طعامها على عجل ، و قامت بجمع الأطباق ثم بدلت
ملابسها و إنصرفت ذاهبة لأختها.

عاد مراد للمنزل كي يستريح قليلا من مشقة العمل فطوال
العام يعمل طوال النهار و يعود بوقت متأخر حتى لا تراه سما و
يسبب لها الضيق.

استقبلته والدته:

— إيه يا قلب أمك، أخيرا جيت البيت بدري، كل يوم ترجع و
إحنا نايمين و تمشي قبل ما النهار يشقشق.

ابتسم لها مراد لكي لا تحزن علي حاله:

— معلش يا ماما عاوز أسيب سما على راحتها، أنا شايف
إنها اتعودت على وجودها معاكم، لكن لو أنا موجود هتفضل
حابسه نفسها في أوضتها.

تنهدت سعاد:

— يااااه يا مراد، إنت اتغيرت أوي يا ابني، من إمتى بتعمل
حساب لحد؟ إنت حبيتها يا مراد؟

وضع مراد يده على قلبه:

يا ريتني حبيتها يا أمي، أنا عشقتها مش حبيتها بس، نفسي
و منى عيني تسامحني من نفسها مش عاوز أضغط عليها، بحاول
أدور على شغل يليق بيها، علشان يوم ماتوافق ترتبط بيا من قلبها
هاعملها فرح جديد و نبدأ حياه جديده، أنا باشتغل و أشيل
القرش على القرش عشان ساعتها هاجيبها شقه لوحدها،
نفسى تفتخر بيا زي أختها ما بتفتخر بجوزها.

ترقرقت الدموع بعيني سعاد و احتضنته:

— ربنا يهديها و يلين قلبها يا ابني، هي بنت حلال أوي يا
مراد، يمكن أكون جيت عليها في الأول بس ده علشان إنت
ابني، آه كنت عارفة انك غلطان لكن ربنا غفور رحيم.

— أنا مش زعلان منها يا أمي، بالعكس كنت هزعل لو

وافقت تعيش حياتها معايا من غير إحساس ولا مشاعر، أنا
حببت قلبها وعشقت روحها.

أسرت له سعاد بتعجبها :

— هو انت بتشوفها يا بني؟ أو مال لو عاشرتها زينا هتعمل إيه؟
دي ملاك ماشي على الأرض، ربنا يحميها ويراضيها ويهديها
ليك.

لمعت الدموع بعيني، لكنه غلف حديثه بالمرح لكي لا يثير
شفقة أمه :

— لو اقولك على سر هتفضلية يا سعاد و إلا الشعب كله
هيعرفه.

قهقهت سعاد :

— يوه جاتك إيه يا مراد ضحكتني وأنا ماليش مزاج، بس
قول السر أو وعدك إنه في بير.

ضيق مراد عيناه وهز رأسه يمينا ويسارا :

— ربنا يستر من البير ده مايكونش منفذ على البحر (و ضحك
لكنها لم تكن ضحكة صافية بل كانت مشوبة بالحزن) انتي
عارفة ياما أنا كل يوم بانزل وأفضل قاعد في العرييه لحد ما
سما تنزل و أمشي وراها من غير ماتشوفني و اطمئن عليها و نفس
الموضوع بكرر و هي راجعه وأوقات بين المحاضرات أروح
الجامعه أشوفها من بعيد وهي قاعده مع أختها أو صحباتها،
تعالى اقعدى جنبى ياسوسو أفرجك على حاجه.

جلست سعاد بجواره تنظر لذلك الهاتف المحمول بيده وهو

يعبث بشاشته حتى وصل الي ما يريد قائلا:

— أهو يا ستي لقيته ده ملف بحاله كله صور لسما بصي.
نظرت سعاد و هو يقلب لها الصور كانت صوراً لسما و
هي تنزل من المنزل، و هي تستقل المواصلات، و هي تدخل
للجامعه، و هي تجلس مع زملائها، و هي تأكل و هي تشرب.
نظرت لولدها و الشفقة على حاله تطل من عينيها و تساءلت:
— إنت اللي مصورها كده يا مراد!!؟

— أيوا طبعا، أومال هجيب حد يصور مراتي.
— ربنا يهديها ليك يا بني و يحن قلبها عليك، ده أنت بتتعذب
يا مراد.

— بالله عليك يا ماما ما تجيبي سيرة لحد، مش عاوز أي
حد يعرف أي حاجه عن الموضوع دا و خصوصا سما.
— اطمئن يا بني ما ينفعش أقول حاجه لحد.



وبمنزل رامين رضوان وصلت سما و استقبلتها أختها هبه:
— سمسمه الجميله أخيرا جيتي تقعدى معايا شويه.
— أعمل إيه طيب يا هوبا، مش لما خلصت إمتحانات، الحقوق
مش سهله و إنتي عارفه أنا لا بأخد دروس خصوصية و لا
مجموعات تقوية.

— ليه يا حبيبتي لو محتاجه أي حاجه أنا موجوده، رامين
بيديني مصروف خاص بيا مش بصرف منه حاجه ومعايا فلوس

إوعي تترددي تقوليلي.

_ لا يا هبة ، أنا مش هتعلم على حساب جوزك ، كمان كفاية اللي ماما رغد عملته معايا قبل جوازي و الحاجات اللي اشترتها و اتفاجئت بيها وقت ما دخلت بيت عمي محمود .

_ ماما رغد دي مافيش منها ، عاوزة أقولك إن نفس اللي عملته معاكي عملته معايا ، و لحد دلوقتي كل ما تمشى في أي مكان و تشوف أي حاجة تعجبها ليا تشتريها ، و من وقت ما عرفت اني حامل وهي كل يوم تيجي تجيلي الأكل و العصائر الفريش ، ولو شوفتي جايبة إيه للبيبي تعالي أفرجك .

تمسكت هبه بيد أختها مصطحبه إياها إلى الغرفة التي خصصتها هي وزوجها للأطفال لتجد سما الغرفة جهزت بالكامل لاستقبال المولود ومازالت أختها بشهورها الأولى ، ولكن أسعدها كثيرا اهتمام عائلة زوجها بها و ليس بجديد عليهم فدائما ما غمروها هي نفسها باهتمامهم .

أفاقت سما من شرودها على حديث هبة :

_ و انتي مش ناويه ربنا يهديكي و تسامحي مراد ، أنا ملاحظه إنك عايشة معاها مرتاحه و طنط سعاد اتغيرت معاكي و مافيش مرة لقيتك بتشتكي من مراد فيها .

ارتسمت ملامح الغضب على وجه سما :

_ اسمعيني يا هبة علشان ماتفتحيش الموضوع ده تاني....

مراد لو اتغير فده لنفسه و طنط سعاد و عمي محمود ربنا يعلم أنا بعاملهم إزاي و مراعيه ربنا فيهم ، لكن عمري ما هنسى إن

الإنسان ده كان سبب في ضياع شرفي و موت أمي مقهوره عليا.
– ربنا بيسامح يا سما ، احنا يا بشر مش هنسامح ، و انتي
طيبه و قلبك حنين و كبير.

أطلقت سما من صدرها زفيراً حملته وجعها الذي لا ينضب:
– ربنا بيسامح علشان دة ربنا ، لكن زي ما انتي قولتي إحنا
بشر مش ملايكه ، و جوانا خير و شر ، حب و كره ، عندنا كل
حاجه و عكسها ، و أنا للأسف عمري ماهقدر انسى و لا أسامح ،
ولو على قلبي ، فأنا قلبي مات يوم ماشفت أمي بتقع قدامي من
قهرتها عليا.

– ماما الله يرحمها كانت مريضه و ده عمرها ، لكن انتي
لسه صغيرة و قدامك العمر لسه طويل إن شاء الله ، عيشي
حياتك و حاولي تدي نفسك فرصة.

سما و هي تحاول تغير مسار الحديث :

– سيبك مني أنا في موضوع عاوزه أكلمك فيه.

– خير يا حبيبتي إيه الموضوع ده.

– أخوكي محمد سنه كبير و لازم يتجوز و هو تعب علشان
احنا دلوقتي كل واحد في بيت جوزها و هو عايش مع بابا
لو حدهم ، لو شوفنا عروسه بنت حلال تقبل تعيش مع بابا و تعتبره
زي والدها.

– فعلاً معاكى حق مش عارفة إزاي مفكرتش في الموضوع
ده قبل كده.

– عادي يا حبيبتي انتي انشغلتي بين دراستك و بيتك و جوزك

لكن أنا عندي وقت أفكر، وأنا وانتى واحد ياهوباً.
نظرت هبة لأختها الصغرى والتي شعرت وكأنها كبرت
قبل الألوان وأماعت برأسها توافقها الرأي، قضت الأختان وقتاً
ممتعاً استعدادتا به ذكرياتهما.

ثم عادت سما إلى منزل الشيخ محمود لتجده يجلس متكئاً
على إحدى الوسادات وتظهر عليه علامات الإرهاق، دخلت ملقياً
السلام.

— سلام عليكم.

ابتسم لها الشيخ محمود:

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حمد الله على
سلامتك يا بنتى.

— تسلم يا عمى.. طمّني حضرتك عامل إيه.

— الحمد لله يا بنتى.

سما معترضة:

— لا يا عمى أنا ملاحظة إن حضرتك تعبان، وكلمت رامين
جوز هبة وهنروحلوا بكرة أنا وحضرتك ليه هيعرضك على
دكتور زميله يكشف عليك.

اعترض الشيخ محمود:

— لا ياسما يا بنتى أنا مش بحب الدكاترة وأنا كويس
قدامك أهو.

ليتحدث ونبرة صوته تنم عن الإرهاق الشديد، ومقاومة الألم.

حتى قاطعته سعاد و التي أتت عند سماع حديثهم:

_ مافيش لا و هتروح مع سما بكرة للدكتور.

هب و اقفا معترضا على حديثهما متجها لغرفته و تبعته زوجته
مصرة على حديثها و قبل أن يلتف لها رافضا الإنصات لحديثها
مادت به الأرض وسقط مصطدما بالأرضية.

ارتفعت صرخات سعاد مستتجده بسما:

_ الحقيني ياسما.... يا محمود...رد عليا يا محمود.

انتفضت سما فور سماعها صرخات سعاد و هرعت
باتجاه غرفتهم و دلفت إليها لتجد جسد الشيخ محمود ملقى
أرضا، وسعاد المجاورة له تبكي وتصرخ به أن يجيبها...

شردت سما لثواني مستعيده مشهد وفاة والدتها...

أدمى جرح قلبها مرة أخرى حين تخيلت للحظة أن هذا الرجل
الحنون و الذي تعتبره درع الامان لها من الممكن أن يفارق
الحياه.... و استعادت وعيها و عادت للواقع بفعل صوت نداء سعاد
لها:

_ الحقيني ياسما... عمك محمود هيزيع منا...اتصلى على

مراد يجي يأخده ونروح مستشفى

سما بقلة حيله:

_أنا مش عارفة رقمه.

_ موجود في تليفوني.. يلا بسرعه يا بنتي كلمية.

ذهبت سما تبحث عن هاتف سعاد و ضغطت على زر الاتصال

بعد أن وجدت رقم مراد مدون بالقائمة... لم تنتظر كثيراً حتى أجابها.

— اطمني يا ماما أنا كويس.

سما وهي تشعر بارتجافه بكل جزء من جسدها:

— أنا سما مش والدتك.

مراد وقد احتله القلق:

— فيه إيه يا سما؟! أمي جralها حاجة، أبويا كويس؟

— من فضلك تعالي بسرعه عمي محمود وقع على الأرض مغمى عليه.

— استرها يا رب، حاضر، حاضر، دقايق وأكون عندكم.

أغلقت سما الهاتف فهي لا تريد أن تسمع صوته أكثر من ذلك وعادت لغرفة محمود وسعاد مرة أخرى ولكنها حاولت هذه المرة السيطرة على مشاعرها وأن تقدم لهم يد العون.

فقررت محادثته زوج أختها فهو طبيب ويستطيع مساعدتهم وبالفعل أمسكت بهاتفها المحمول عابثه به وانتظرت الرد ليأتيها صوت رامين:

— سلام عليكم.. إزيك يا سما.

— الحمد لله يادكتور.

— على فكرة أنا كلمتك دكتور زميلي وهو منتظر كمبكرة إن شاء الله.

قاطعته:

— بس عمي محمود تعب فجأه و أغمى عليه و مش عارفه
أعمل إيه.

رامين بلهفة و قلق فالشيخ محمود رجل طيب يحظى باحترامهم:

— طيب...طيب إديني عنوان البيت و هابتلك عريية إسعاف
تنقله للمستشفى فورا.

أخبرته سما عن عنوان المنزل و عن اسم المريض كاملا
و أغلقت الهاتف.



الفصل الخامس عشر

دقائق ووصل مراد إلى منزله و لحقته سيارة الإسعاف قام بنقل والده للسيارة بمعاونة المسعفين و أصرت سما على مرافقته داخل سيارة الإسعاف بينما لحقه مراد و سعاد مستقلين سيارة مراد.

ظلت سما متمسكة بيد الشيخ محمود و هو راقد على السرير النقال داخل سيارة الاسعاف و نظراتها محملة بالرجاء ألا يتركها فهو سندها و حماها و لن تتخيل أن تكمل حياتها بذلك المنزل في حالة عدم وجوده.

وصلت السيارة إلى المستشفى، و استقبله الأطباء بناء على توصية من رامين و الذي استبق زملائة الأطباء محاولا طمأنة سما، التي لاحظت توترها حتى كادت تفقد وعيها هي الأخرى.

قام الأطباء بالكشف عليه و إسعافه و وضعه تحت الرعاية الطبية لمدة أربع وعشرون ساعة، وقررت سما ألا تتركه وبالرغم من محاولات رامين بإقناعها أن تذهب و تعود بالغد أجابته بحزم: _ لا أنا مع عمي محمود و مش همشي من هنا و لا هرجع البيت غير معاه.

_ يا سما ده تحت الرعاية، و مش هتقدري تشوفيه النهاردة خالص.

انهارت حصون سما و قوتها و انهمرت دموعها مترجيه رامين

أن يتركها معه ، كل هذا على مرثى و مسمع من مراد وسعاد
التي لم تكن حالتها أحسن حال من سما بينما مراد كان على
يقين أن محبوبته تخاف العيش معه دون حماية والده ، طعنه
هذا الخاطر ، أل هذا الحد ترفضه آه يا سما قلبي ، يا عشقى
وولعي ، ليتني نلت الإعدام و لا تقتلي قلبي برفضك هذا .

تفهم رامين أيضا حالتها و قرر مساعدتها و إبقائها بالقرب من
محمود الرائد بغرفة الرعاية وجسده متصل بالأسلاك الطبية .
مرت الأزمه على خير و استعاد محمود صحته و عاد إلى
المنزل بحمد الله و سلامته و عاد الجميع ممارسة أعماله اليومية
و حياته الخاصة بشكل طبيعي .



مرت خمس سنوات بحلوها و مرها و روتينها على الجميع ،
وسما تتفوق في كل عام و مراد ينحت الصخر نحتا و يحاول كل
المحاولات ليرفع من مكانته الإجتماعية حتى يصبح زوجا يليق
بسما

واليوم وبعد عناء سنوات تسلم مراد وظيفته الجديدة كموظف
اداري بالمركز الثقافي الروسي حيث إنه درس الاقتصاد و العلوم
السياسية ، لم يكن عناء في الحصول على وظيفة محترمه هو
كل طموحه بالحياة وإنما كثيرا ماتمنى أن تشفق زوجته على
حالة ، فقد عاني الكثير والكثير ، قدم كثيرا من التنازلات
خلال هذه السنوات التي مرت على زواجهما حاول مرات عدة
التقرب لها بعد أن أصبح غرامها يحتل كل ذرة بكيانه ، سقط

صريعا أمام ما لمسهُ من أخلاقها وتواضعها وأدبها ومعاملتها الطيبة لوالدها واهتمامها بكل تفصيلة بحياتها، لن يكذب إذا اعترف لنفسه ولوالديه ولها أيضا أنه يعشقها وأنه نادم أشد الندم على فعلته، رفضها الدائم له ولمحاولاته أن يبدأ حياة جديدة معها، كم من ليالى بات يشعر وكأنها تجاوزه فراشه وتبادلته مشاعره وأحاسيسه، كثيرا ماتخيلها بين ذراعيه تختبئ خجله منه بأحضانها، وما كان يوقظه غير حبات الماء التي تكسى جسده المتصبب عرقا من شدة إنفعالاته، لقد أرهقت رجولته حقا.

سعى كثيرا لينول رضاها على زواجهم الشرعي، الذي وافقت عليه تنفيذا لرغبة والدها وحماية لمستقبل أخيها، أما اليوم وبعد وظيفته المحترمة ومع شعوره بأنه الآن لم يعد ذلك السائق الذي لا يليق بأستاذة القانون بجامعة الاسكندرية، قرر أن يفاجئها بزيارته لها بمقر عملها حيث عملت كمدرس مساعد لمادة القانون الجنائي بكلية الحقوق بعد أن تفوقت بجميع سنوات الدراسة الأربع وحصلت على درجة امتياز مع مرتبة الشرف، ابتاع لها باقة من الزهور الحمراء مغلقة بقماش من الشيفون الأبيض مع شريط من الستان الذهبي وقلبة يرقص فرحا متأملا أن يبدأ معها حياة هادئة ويغلقا صفحة الماضي، متناسيان ما حدث به.

وصل إلى الحرم الجامعي وقبل أن يتوجه للمبنى المخصص بمجمع الكليات لكلية الحقوق وبينما كان يجول بنظرة بالمكان والإبتسامة لم تفارق وجهه وجدها....

وجد زوجته وحبيبته ولكن تجمدت بسمته وقتلت فرحته و

قف كمن شلت أطرافه بعد ان عاش طيلة طريقة يرسم أحلاما و يتخيل كم ستكون سعيدة بمفاجأته، توهم كثيرا حين تخيلها تلتقط منه باقة الزهور تشم رائحتها وتعانقه إنه يراها الآن واقفة و تبسم...

نفض رأسه رافضا وصفة لما تفعله بالابتسام فقط، فهي تقهقه كما لم يراها من قبل حتى مع والده أو أخيها و أختها فمنذ ما حدث اختفت ضحكتها ، وأكثر ما كانت تفعله هو الابتسامه و لكن يا ترى من هذا الذي أخرج ضحكتها من ذلك الكهف الذي سكنته ؟.

ظل عقلة يراوده بالاقتراب منها و معرفة هوية الشخص المتحدثه معه ، و قلبه يمنعه حتى لا يكسر من جديد ، انتصر عقلة و ذهب إليها متحدثا :

– صباح الخير يا أستاذة سما.

تفاجأت سما من وجوده بالجامعه ، فهو طوال سنوات زواجهم لم يفعلها ، حتى وقتما كانت تدرس الحقوق لم تتذكر أنه أوصلها يوما ، قطبت حاجبيها و ارتسمت على وجهها ابتسامة مهزوزه و ظهرت عليها علامات الارتباك أكثر حينما تابع حديثه :

– إيه مش هتعرفينا على بعض ؟

فأجابت مدعية الثقة و محاولة اخفاء ارتباكها مشيرة لمن يقف جوارها :

– دكتور روجان رضوان المشرف على رسالة الماجستير اللي باحضرها (ثم أشارت بيدها الأخرى معرفة أستاذها به) وده

مراد جوزي يا دكتور.

صافح روجان مراد و استأذن منصرفاً وباليته لم ينصرف فقد اندلع البركان الهاديء المدفون بكل منهما و ابتدأته سما حين نظرت لباقه الزهور التي حملها مراد ثم قالت:

— إيه اللي جابك الكلية وجاييلي ورد ، إيه شغل المراهقين ده ، إنت قاصد تخرجني قدام الطلبة بتوعي.

تقبل مراد حديثها اللاذع بكثير من الألم و كسرة القلب و اعتلاه الغضب و لم يستطع أن يمتلك زمام تعقله فامتدت يده جاذبة إياها من ذراعها و بمنتهى الثبات وبنبرة هادئة تحمل كثيراً من الحزم والقوة التي لم تراها منه من قبل قائلاً:

— اتفضلي امشي معايا لينا بيت نتكلم فيه بدل ما اعرفك الإحراج بيكون إزاي قدام الطلبة بتوعك يا أستاذ.

ابتلعت سما نبرته المستهزئة وازدردت لعابها و سايرته حتى لا تفقد هيبتها بعملها فقد استشعرت صدق حديثه و أنه من الممكن أن يفعلها و يقوم بإحراجها ، أوقف سيارة الأجرة و ركبا معا ولم يوجه أحدهما للآخر أي حديث ، حتى وصلا أمام منزل عائلته ، صعدت الدرج متقدمه إياه.

فور دخولها و إغلاقه لباب المنزل انفجرت به صارخه:

— إنت إيه اللي جابك الكلية ؟ فهمني عاوز مني إيه؟.

لم تكن ثورتها شيئاً يذكر أمام ثورته العارمة و انكسار قلبه فصاح بأعلى صوته:

— حبيت أفرحك ، كان عندي أمل من جديد ، لكن للأسف

لقيتك بتبدأي لوحدك ضحكك اللي عمري ماشفتها ، شفتها
النهاردة بس لواحد تاني واحد غيري يا مدام سما ، واحد غيري
غير جوزك اللي مش قادرة تنسيه غلطة من خمس سنين و هو
بيحاول كل يوم وكل دقيقة يعوضك عنها ويغير نظرة الاشمنزاز
اللي بيشفوها في عنيكى.

خرج و الداه مسرعين على صياحهم و حاولوا احتواء الحوار
بينهم و لكنهم فضلوا المتابعه دون تدخل بعد أن حاولوا كثيرا
و لم يجدي حديثهم مع سما بشىء.

تلاأت دموع سما على و جنتيها بالرغم من قوتها الواضحة من
حديثها و أكملت صياحها وردت عليه قائلة :

– إنت معتبر إن اللي عملته معايا من خمس سنين كان غلطه ،
إنت عارف إنت عملت إيه و إلا أفكرك و إوعى تكون فاكرك إن
ورقة الجواز اللي ربطت بيني و بينك دي بتديلك حق فيا ، الشرع
بيقول الجواز شرطه الإيجاب و القبول و أنا و لا أجبت و لا قبلت
بيك زوجا ثم وجهت حديثها لوالده متابعة :

– صح و إلا أنا غلطانه يا عمى.

أجابها الشيخ محمود وهو يزفر أنفاسه متتهدا :

– صح يا سما يا بنتي وده السبب اللي خلاني أوافقك إنك
تقعدي في أوضه لوحدك ، و كان أملي في الله تقبليه و ربنا
يجمعكوا على خير ، خصوصا إنني شوفت أد إيه ابني اتغير
علشانك ، و حاول أد إيه يعوضك عن اللي حصل.

سما و قد تحولت قوتها لضعف وارتفعت شهقاتها وزاد

بكائها، وارتسمت على ثغرها

ابتسامه كاذبة:

— اتغير إيه و حاول يعوضني عن إيه، عن شرفي اللي خده
غصب، وإلا عن أمي اللي ماتت بحسرتها عليا.

وجهت نظرها وحديثها مرة أخرى لمراد قائلة:

— إنت عارف أنا و إنت عاملين زي إيه؟ زي إسرائيل و مصر،
اسرائيل احتلت مصر وخرجت منها عملنا معاهدة سلام صحيح،
لكن اللي في القلب في القلب، تفتكر عمرنا هننسى لاسرائيل
احتلالها و لا دم شهدائنا في يوم من الأيام، أهو أنا كمان رغم
إني وقعت على عقد جوازنا لكن لاعمرى هاقبل إنك تحتل قلبي
ولا تكونلي زوج، إنت متعصب يا مراد، لولا إن اهلي خافوا من
الفضيحه وكلام الناس كان زمانك أخذت حكم إعدام أو
على الأقل عشت بقية عمرك في السجن، لكن أنا بتوقيعي على
ورقة جوازنا كتبت شهادة ميلادك مرة تانيه فياريت ماتجيش
دلوقتي تطالبني بأي حقوق ليك لأن المغتصب ملوش أي حقوق
في ضحيته.

وقع كلماتها كان بمثابة صدمة للجميع، فكل هذا
ما حملته بقلبها البريء طوال فترة زواجها ألهذا الحد بغضت
ارتباطهما، كرهته كرها قويا، لم يتوقع والداه أن تكن له
كل هذا العدا، فلقد تعاملت معهم طوال تلك الفترة معاملة
طيبة و كأنها ابنتهم التي لم ينجباها، وهم أيضاً تعاملوا معها
بكثير من الحب و المودة محاولين تعويضها عن وفاة والدتها.

تبادل والداه النظرات و أجم لسانهما ، لم يستطيعا الحديث بعد كل ماقالته سما ، التي تركتهم و اختبات تكمل ذرف عبراتها داخل غرفتها الخاصة بمنزلهم.

أما مراد فقد شحب لونه وتبدلت فرحته ليحل مكانها الأسى والألم ، لم يستطع هو الآخر مواجهتها فهو بالفعل اغتصب حياتها بأكملها ، نزل ببصرة أرضا خجلا من و الداه و ترك المنزل باكملة ، استقل سيارته الاجرة....

و استعاد عقله كل ما حدث مع من أصبحت زوجته قبل الخمس سنوات السابقة ، مرت جميع الذكريات أمامه ، و اققته المؤلمة ، ثم زواجه منها ، و محاولاته الواهيه من أجل إصلاح علاقتهم ، شريط سينمائي يمر أمامه ، يغيبه ، يوجه الطغفات طعنة تلو الاخرى ، خيبة تليها خيبة....

زادت سرعة السيارة لم يعد يرى أمامه الطريق و لا ازدحام المارة ولا السيارات قبض بيده على عجلة القيادة حتى ابيضت مفاصلة ، لم يستمع لتنبهات قائدي السيارات حوله فكل ما كان يسمعه قبل أن تتجرف سيارته عن الطريق مصطدمه بالفواصل الخرسانية بين الطريقين مرتفعه عاليا لتتقلب عدة مرات و تتحطم كما تحطم جسده و غطت الدماء جميع

وجهه لتخفي ملامحه... و لم يتذكر غير كلماتها له

(انت مغتصب يا مراد و المغتصب ملوش حقوق) (إنت مغتصب....مغتصب)..

كان وقع الكلمة يرن بأذنه و يدخل في نفق أسود غائبا عن الوعي.

حاول المارة معاونته و إخراجـه من السيارة مستدعين سيارة الإسعاف لنقله لإحدى المستشفيات.
ارتفع رنين الهاتف الأرضي لمنزل الشيخ محمود معلنا عن اتصال.

فأجابت سعاد :

– آلو سلام عليكم.

المتصل :

– منزل مراد محمود.

سعاد و قد ارتعب قلبها :

– أيوة يا بني خير.

المتصل :

– الأستاذ مراد عمل حادثه و هو دلوقتي في مستشفى.....و حالته صعبه جدا.

صرخات متواصله من سعاد :

– ابنييييي... ابنييييي.

خرج على إثرها كل من سما ومحمود من غرفهما.

ليتسائل محمود و قلبه ينقبض :

– فيه إيه يا سعاد ماله ابنك ؟

سعاد و هي تلطم وجهها بكفيها :

– ابني بيموت و ديني عنده اللي اتصل بيقول حالته صعبة..

ابني ضنايا هيضيع.

اقتربت منها سما محاولة تهدئتها و لكن نهرتها سعاد :
_ ابعدي عني ، انتي السبب ، انتي اللي عملتي فيه كده ، اخدتي
حقك دلوقتي ، ابني هيموت.

سما وهي تبتعد و تعود بظهرها للخلف مرتعبة :
_ أنا عملت إيه ؟ ، ازاي بتلوميني ؟ .
سعاد وهي ترفع يدها بوجه سما :
_ لا تلوميني و لا ألومك أنا رايحه أشوف ابني ضنايا .. يلا يا
محمود .

تركها وذهب للمشفى باحثين عن و لدهما ليجداه بغرفة
العناية المركزه لا يظهر من جسده شيء فكل انش به مغطى
بالشاش الأبيض ولا يظهر منه غير عيناه المحاطة بهالات زرقاء
والكدمات تخفى معالم و وجهه .

ألقت سعاد بجسدها فوق جسد ولدها صائحة به أن يجيبها :
_مراد رد عليا يا بن عمري... رد عليا يا مراد... ما فيش حد
يستاهل تضيع نفسك علشانه...

انت عملت اللي عليك يا ضنايا ... قوم يا مراد ... قوم... أنا ماليش
غيرك يا بني.. يا ضهري و سندي.

كانت تتحدث و تصيح ودموعها تنهمر وشهقاتها ترتفع ولم
تجد منه غير لفظة بكلمة سما بصوت ضعيف يكاد يسمع
لل قريب منه .

اقترب منه و الده مربتا على يده المحاطه بالشاش :

— عاوز سما يامراد عاوزها تيجي هنا.

ظل ينادي باسمها :

— سما... س... م...ا.

وما كان من محمود الذي شعر أنها اللحظات الأخيرة بعمر
ولده ويود أن يقضيها برفقة زوجته التي ظلمها فردت له ظلمه
وآلمته حد الموت، إلا أن يطلب منها المجيء إلى المستشفى،
لبت سما طلبه وأتت مسرعة وما أن وصلت وشعر مراد بأنفاسها
تقترب منه إلا و جائته صحوه الموت وفتح عيناه يشبع قلبه
برؤياها متمنيا :

— سامحيني ياسما.. سامحيني،

وأكمل بكلمات ضعيفة...

عشت خمس سنين من عمري وأنا بتمنى اللحظة إلى تتقبليني
فيها، كنت بتابع كل حركه وهمسه منك، أتمنيت أشوف فى
عيونك نظرة رضا وإعجاب ولو لمرة واحدة، لكن دايم كنت
بشوف فيهم ألم وكره وقهر..فاكره يوم عيد ميلادك....صمت
يستعيد ذكرى هذا اليوم الذى عاش به أسوء لحظاته ويلتقط
أنفاسه مرة أخرى ليستكمل حديثه بعد ما جهزت كل حاجه،
وزينت البيت خوفت تعرفني وترفضي تحتفلي بعيد ميلادك،
سببت البيت وفضلت مستيكي توصلي وأول مادخلتي وأنا
واقف قصاد باب الشقه مستتي أسمع فرحتك، وقتها قلبي
كان بيرقص من فرحته وأنا سامعك بتقولي لأبويا أنه عجبك
وفرحك، عارف أن كلامك وقتها كان ليه هو وأنتي فاكره

إنه عمل كل حاحه بنفسه لكن فرحت وفرحت أوي كمان
أن ذوقي عجبك...تصوري إني خوفت أدخل وتتضايقي ، ووقفت
مستتي تطفي شمعة عيد ميلادك ، وبعدها دخلت وأنا شايلك
هديتك وزى ماتوقعت سييتيني ودخلتي تستخبي في أوضتك زي
كل مرة ، وقتها أتمنيت أن الزمن يرجع تاني وأهلك يقتلونني أو
يحاكموني ويعدموني وهيكون أحسن بكثير من كسر قلبي
في كل دقيقه بشوفك وأنتي مراتي إللي عشقتها ومقدرش أقرب
منك.

أوعدك أن ربنا آداني عمر وخرجت من هنا ، هديكى حريتك
وأطلقك ومش هنساكي أبدا ، لكن هاعيش وأنا بتمنى اللحظة
إللى نتقابل فيها تاني وأنتي راضيه بيا.

اقتربت منه سما وقد رق قلبها البرئ له وتمردت إحدى دمعاتها
وسقطت رغما عنها ، فهو الآن بأضعف حالاته ولا يستحق غير
الشفقة فنطقتها نابعه من قلبها :

—مسمحاك يامراد.. ربنا يقومك بالسلامه.

مراد بهمس ودمعة فراق تسقط أعلى وجنته :

—أنا حبيتك ياسما وكان نفسي أقابلك من زمان ، وأعيش
عمري وأنتي جنبى وحبيبتى قال كلماته وأغلق جفنيه معلنة
مفارقة روحه إلى بارئها.



الفصل السادس عشر والختم

صرخات وآهات وشهقات ملأت الجدران

صرخت سعاد:

— آه یابن عمری ساینی لمین یامراد.

وتوالى صرخاتها

_ لاااااا، یا سندی، یا ابن بطنی..... قوم یا غالی... رد علی

أَمْكَ يَا مُرَاد..... يَا رَبِّ

یا رب... یا رب.

انهمرت الدموع من عيني محمود و هو يفلق جفناه:

أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، ربنا سامحك

و يغفر لك.

وانهمرت دموع سما فلم تتمنى بأسوء كوابيسها أن تكون

هذه نهاية مراد.

هرع الكل للمشفى ليقفوا بجوار الشيخ محمود ويحاولوا

التخفيف عنه في مصابه وإكمال الإجراءات وتم دفن الجثمان

وإقامة العزاء.

و بالرغم من المعاملة الجافة من سعاد لسما إلا أنها رفضت

ترك منزلهم و عودتها لمنزل أبيها إلا بعد انقضاء العدة الشرعية

لہا۔

مرت الأيام والعلاقة بين سما وسعاد تزداد سوءاً ، فسعاد دائماً تحملها وزر ماحدث لولدها.

إلى أن حان موعد انتقال سما و عودتها لمنزل والدها مرة أخرى و قررت أن تودعهما :

– عمي محمود أنا بستأذنك النهاردة إن شاء الله هارجع من الجامعة على بيت بابا ، أنا جهزت شنطتي وهاآخدها معايا ، أنا باشكر حضرتك على كل اللي عملته معايا طول السنين دي كلها ، ولولا وجود حضرتك في حياتي ووقفك معايا أكيد مكنتش هوصل للي أنا فيه دلوقتي.

– وهتسيبينا ليه يابنتي خليك معانا ولو على سعاد بكره تهدي ، الأحزان بتبدأ كبيرة و مع الأيام و الزمن بتقل و بتتنسى ، هترجعي بيت أبوكي إزاي دلوقتي ، وأخوكي متجوز و معاه ابنه ربنا يحفظهوله ، إحنا عايشين لوحدنا خليك معانا.

– ربنا يحفظك ويخليك ليا يا أحن أب ، يعني إنت لسه شايل همي وبتفكر فيا بعد كل دا ، اطمئن يا عمي أنا فكرت في الموضوع ده وإن شاء الله هاقنع بابا و آخده ونعيش في شقه صغيرة على قدنا ونسيب البيت لمحمد و مراته.

استمعت سعاد لحديثهم أثناء عودتها من غرفة مراد و التي داومت الدلوف إليها و ترتيبها يوميا واحتضان ثيابه و متعلقاته الشخصية و كأنها ستعوضها فقدان و ليدها فقلبها انشطر نصفين من فراقه ، لكم تمنيت أن ترى أبناءه ، و الآن رأت جثمانه يوضع بالتراب ، وسبب موته تريد أن تحيا من جديد ، لا ياسما ،

هذا مادار بعقلها وهي تستمتع لحديثهم وقاطعتهم قائله:

— ده إنت مرتبه كل حاجه بقى يا ست سما ، صحيح ماهو
مراد مات خلاص ، و بقيتي أرملة ، آه ويحقلك تتجوزي و تخلفي و
تعيشي حياتك ، لكن ماتتسيش و إنتي بتعيشيها إن مراد بعد ما
غلط معاكي اتجوزك ، و هو السبب إن الناس متكلش و شك
ويقولوا عليكي كلام بالغلط ، ويا عين أمه حاول كتير يقرب
منك و يعيش معاكي زي أي راجل و مراته ، لكن إنتي إزاي
تسامحي لا مايصحش ماينفعش ، ساب شغله و اشتغل شغلانه
جديده علشان يليق بيكي ، بالست الأستاذة المحامية مدرسة
الجامعه ، حبك من قلبة ، كان نفسه يعوضك عن كل دقيقه
حزن عشيتها ، وانتي أبدا رافضه ، حتى الكلمة منه و في الآخر
جيتي قولتيها بصراحة ، ولا همك الراجل الكبير اللي عاملك
زي بنته ووقف ضد سعادة ابنه علشانك وعلشان يرضيكي ، ولا
معاملتني الطيبه ليكي ، ضيعتي ابني مني و دلوقتي هتروحي
تبدأي حياتك ، بعد ما أخذتي بتارك منه.

استنكر الشيخ محمود حديث زوجته:

— إيه اللي بتقولية ده ياسعاد كله مقدر و مكتوب وده نصيب
ومكتوبله عند ربنا.

سعاد يبكاء:

— لاء هي السبب.

تدخلت سما:

— هو حضرتك بتقولي إيه يا طنط سعاد؟ حضرتك واعية

للكلام اللي بتقوليه ده!!

بتلومي عليا في إيه؟ إني مسامحتش ابنك بعد اللي عمله معايا، بعد ما كان سبب موت أمي ازاي تلوميني إني هامشى وإلا إني جيت عليه، وهو يعني لما غدر بيا كنتوا عملتوا ليا إيه، حد فيكم حس ذلي و إنكساري لما دمر فيا كل حاجه حلوه، حد منكم جابلي حقي، ولو سمحتي إوعي تفتكري إن جوازة مني ردلي حقي، بالعكس ده قلل مني أكثر، انتوا مدتونيش حق الاختيار، و حضرتك بتقولي إن لولاه الناس كانت أكلت وشنا وهو كان مين السبب من البدايه مين اللي اغتصب؟ مين اللي عطى الناس الفرصه يتكلموا عليا؟ اسمعيني باطنط بالله عليكى علشان ده آخر كلامي، أنا عشت و سطكم بما يرضي الله و اتعاملت مع حضرتك و عمي محمود زي أبويا وأمى، وعلاقتي بمрад كانت زي ما اتفقنا من البداية ولو جوازة مني رفع عنى الحرج قصاد الناس، فموافقتي على الجوازه دي رفعت عنكم حكم الإعدام، وعن حضرتك وعمى عارتعيشوا بيه عمركم كله إن ابنكم يكون ميت بحكم محكمة لاخطاف واغتصاب انشى قاصر من النهارده أنا صلتى انتهت بحضرتك.

ثم و جهت حديثها لمحمود:

— وآسفه على كلامي يا عمي محمود، وفضل حضرتك جميل عليا هيفضل طول عمرة في رقبتي دين.

خرجت سما من منزل محمود حاملة حقيبة تضم متعلقاتها الشخصية مودعه منزل الشيخ محمود للأبد، تاركة به جميع

ذكرياتها السيئة مقررة لبداية حياة جديدة.

وصلت لمنزل والدها واستقبلتها زوجة أخيها هذه الفتاة
الرقيقة الطيبة ملك التي تتعامل معهم وكأنهم أختاها وتعامل
والدهم بحب بعد أن عوضها مكان والدها المتوفي وهي بعمر
صغير..

رحبت بسما:

— حبيبتي يا سمسمه ده البيت نور برجوعك ليه.

— منور بوجودك يا ملك ووجود زين حبيب قلب عمتو.

— ده أول ما يصحى من النوم ويشوفك هيفرح أوي، ما إنتي
عارفه بيحبك إنتي وهبة والآنسه رغد أكثر مني.

سما مقهقه:

— ده بيحب رورو و بس و معتبرها ملكية خاصة وهبة
بتحكيلي على نوادرهم مع بعض.

— هو بيحبها بس، ده وقت ما بيشفوها مش بيخلي حد يكلمها
بيقول أختي أنا و بس.

— ربنا يحبهم في بعض كمان و كمان، إحنا طول عمرنا
بنحب محمد و قرييين من بعض جدا..

— ربنا يخليكم لبعض يا حبيبتي وما يحرمنيش من لمتكم
أبدا، أنا جهزتلك أوضتك هدخلك شنتطتك، على ماتغيري
هدومك، أكون جهزت الغدا و يكون عمي رجع من الشغل و
محمد كمان.

سما وهي تنهض متجهه للغرفة تحمل الحقيبة عن ملك:

– هاتي عنك انتي وروحي شوفي اللي وراكي على ما أغير
هدومي و آجي أساعدك في المطبخ.

– حاضر يا قلبي مستنياكي.

ذهبت كل منهم إلي غرفتها ثم تعاونتا بأعمال الطهي و جلى
الصحنون بعد الغذاء وصنعت سما جميعا لهم الشاي و جلسوا
لاحتماءة، وقررت سما أن تفتح و الدها بأمر الانتقال إلي منزل
إيجار وترك منزل العائلة:

– كنت عاوزه أتكلم معاك يا بابا وفي و جودك يا محمد.

– خير يابنتي اتكلمي.

– دلوقتي يا بابا البيت هنا بعيد جدا عن شغلي، وحضرتك
عارف إنني باحضر رسالة دكتوراة

وده بيحتاج إنني أتأخر في الجامعة.

سألها محمد:

– ويا ترى عاوزه إيه يا سما، ما عندناش بنات تعيش لوحدها.

– إهدى يا أبو زين واسمعني، أنا مقولتش هعايش لوحدي،
أنا هاشوف شقة إيجار جديد ونعيش فيها أنا و بابا و تكون
قريبه من شغلي.

اعترض محمد:

– إيه اللي إنتي بتقوليه ده !! وكم ان عاوزه بابا يسبب بيته
بعد العمر ده كله وإلا إنتي اتضايقتي مني أنا و مراتي و ابني،
أنا حاليا ظروفى أحسن الحمد لله وأقدر آخذ شقه لوحدي.

وقفت سما و احتضنت أخيها و هو جالس:

— و الله العظيم أبدا يا محمد إنت عارف أنا بحب ملك و زي أد إيه ، لكن فعلا شغلي بعيد و إنت عارف إنني باخاف أركب موصلات لو الليل دخل عليا ، لسه يا محمد مانسيتش اللي حصلي.

تألم إبراهيم و محمد و ملك لحالها فسمما مهما مرت بها الايام لن تفارق ذاكرتها تلك الحادثة تفهم إبراهيم وجهة نظر ابنته:

— خلاص يا بنتي اللي تشوفيه ، أنا موافق ، من بكرة محمد يدور لنا على شقه قريبه من الجامعه ، و أنا هاجي أعيش معاكي ولو إن الواد الشقي دا هيوحشني.

(واشار بيده على الصغير زين الذي يبلغ من العمر عامان)

اعترض محمد :

— إنت موافق إزاي يعني يا بابا وتسيبني وتمشي !!.

— أختك محتاجاني جنبها يا محمد وقبل أن يكمل حديثه تفاجأ الجميع بدقات يد صغيرة على باب الشقة وعلم الجميع أنها للصغيرة رغد ابنة هبة ورامين و التي أسماها على اسم جدتها ، قام محمد ليفتح للطارق وما أن وجد صغيرتهم الجميله تمسك ببنطاله حتى انحنى حاملا لها مقبلا وجنتاها ، انتبه على صوت هبة حين استحلفته مداعبة :

— لا و حياة أبوك يا محمد دخلني بالكورة اللي في بطني دي ، وبعد كدا حب فيها براحتك.

قهقهت رغد على حديث زوجه ابنها والتي زاد وزنها وانتفخت

بطنها بسبب حملها الثاني:

— عديها يا محمد يا بني دي طول الطريق وهي مجناني.
قهقهة الجميع وركضت سما تحتضن رغد الكبيره فكم
اشتاقت لها:

— وحشتيني أوي أوي.
رغد وهي تبادلها الاحتضان:
— يابنت يا بكاشه لو وحشتك كنتي جيتي تشوفيني، لسه
عمك إيهاب بيقول إنه زعلان منك.
— وأنا مقدرش على زعله ده عمي إيهاب غالي عليا جدا و أنا
فعلا ناوية أجي أزوره قريب ..
— لما نشوف، تعالي أسلم على الحاج إبراهيم و ملك حبيبتي
والباشا حبيب تيتا رغد.

— زمانه أخذ رودي وهربوا يلعبوا جوا.
وقفت ملك لتحية رغد فكم أحبت تلك السيدة الحنونة الرقية
التي ساندت عائلة زوجها واحتضنتها.
رغد:

— سلام عليكم يا حاج إبراهيم، صحتك أخبارها إيه؟
— أهلا وسهلا يا ست رغد، و الحمد لله بخير و انتي عامله
ايه؟، و أخويا الغالي إيهاب عامل إيه؟
— بخير الحمد لله، بيسلم عليكوا كلكم والله.
سأل محمد:

- مجاش ليه مع حضرتك و حشنا جدا .
- مشغول مع أخوك رايان نروح نباركله قريب أوي.
- ألف مبروك، وأخيرا قرر يستقر.
- الله يبارك فيك يا محمد أخيرا بقا قرر يرحم بنت الناس من
جنانه و يرحموني من دوشتهم.
- تدخلت ملك ضاحكة :
- لاده بكرة يدوشوكي أكثر، وروجين هتبقى زي هبة
و الاتتين هيسيبولك ولادهم ودي طبعاً اسعد لحظاتك يا طنط.
- آه و الله يا ملك معاكى حق.
- تدخلت هبة بالحوار بعد أن التقطت أنفاسها :
- أيوة كده يا رورو اعترفي إنك بتكوني سعيدة و أنا
معاكى.
- بعترف أهو يا حماتي...شوف يا حاج إبراهيم البنت...لا هبة
اتغيرت أوي.
- إبراهيم مقهقها :
- لامتقدرش تتغير عليكى انتى بس و عمها إيهاب اللي
مدلعينها بزياده.
- وإحنا عندنا غيرهم كلهم علشان ندلعهم...ربنا يحفظهم
جميعاً هما وأولادهم.
- أمن الجميع خلفها :
- اللهم آمين.

بينما اجتذبت رغد يد سما وخرجت إلى البلكونه لتتحدثا :
– قوليلي بقى ياهانم ناوية على إيه بعد مراد الله يرحمه ما
اتوفى.

قصت عليها سما ماتتويه من انتقال بصحبة والدها و متابعه
عملها ولم يحلو لرغد حديثه فأجابتها :

و إنتي شايفه إن ده صح ، و انتي فين حياتك ؟ إيه مالكيش
نفس تشوفي ولادك زي محمد و هبه.

– ولادهم ولادي ربنا يعلم.

– لا ، ولادهم أولاد إخوانك ، انتي عمتهم أو خالتهم ، الأم غير يا
سما ، إحساس الأمومه نعمه ربنا ما يحرم منها حد .

– أنا خايفة أفكر في الخطوة دي ، أظلم اللي ارتبط بيه و هو
هيضمن وقت ما يعرف باللي حصل .

– بلاش الكلام الأهل ده ، ظلم إيه إنتي كنتي متجوزه على
سنة الله و رسوله .

– تفتكري مش من حقه يعرف الحقيقه ؟!

– ولو لقيتي حد عارف الحقيقه وبيحبك و هيموت عليك
هتوافقي ؟.

سما بدهشه :

– وده مين ده و يعرفني مين . ولا كمان هيموت عليا الحقيقي
بيه يارورو .

– انتي مفكرة إنني باهزر على فكرة أنا باتكلم بجد ولو

تعرفني هو عمل إيه علشانك مش هتصدقني.

— انتي بتتكلمي بجد وإلا إيه ؟

— آه والله العظيم، وانتني تعرفيه كمان.

— لا بجد قوليلي مين؟ ماتحيرنيش!!

— روجان ابن عم أولادي، ودكتورك في الجامعة و المشرف على رسالتك، و اللي معجب بيكي من يوم ما شافك أول مرة في فرح هبة و رامين و فضل مستني ورافض فكرة الزواج بعد ما اتعرف عليكي أكثر، و حارب و الدته المتسلطه اللي كانت رافضه إنه يتجوز واحد سبق لها الجواز، ها تحبي أقول إيه تاني؟؟

سما و قد ظهرت على وجهها علامات الصدمة فرغد أكثرت عليها بما لا تتوقعه:

— معقوله دكتور روجان أنا عمري ما حسيت منه حاجه زي دي.

— لإنك كنتي شايله اسم راجل تاني وهو محترم ده جدا، لكن بعد وفاة مراد هو جالي وطلب مني اتدخل و أكلمك و أنا علشان عارفة إنك هتحكيه كل حاجه وعن سبب جوازك من مراد وفرت عليكي وفهمته وهو متقبل جدا كل ده وبيعشقك.

— إيه سبب رفض والدته؟... وليه هو بيتحداها ؟.

قالت وهي تزفر أنفاسها غضبا من تلك العنيدة التي تتصيد أي خطأ حتى ترفض طلبية:

— روميساء مامته شخصيه متظاهرة جداً بتحب تكون سيدة

مجتمع ومتسلطه بشكل غريب وعلشان كده ولادها روجين
وروجان كانوا دايمًا قرييين من جدتهم و الده إيهاب الله يرحمها
لكن اطمني هي بعد ما عرفت إن ابنها مش هيتجوز غيرك
وافقت ومستتية قرارك.

— وماما رغد رأيها إيه؟

— أمك اللي بتحبك ونفسها تشوف ولادك انتي كمان بتقولك
مش هتلاقي زي روجان في الدنيا دي يحبك ويحافظ على الباقي
منك ويرجعك حياتك وضحكتك.

— أوعدك إنني هافكر.

رغد (وهي تشير بإصبعها على رأس سما):

— دماغك دي ناشفه أوي.

— لا اطمني بجد هفكر وأشوف الأمور بنظرة ثانية.

— تمام مستتية و يلا بينا بقى أدخل أديهم دعوات فرح رايان
قبل ما انسى.

قضى الجميع وقت عائلي ممتع مليء بمزحات هبة و سما
و ومداعبات الصغار رودى وزينو وأحاديث ملك الشيقة، إلى
أن عادت رغد وهبة إلى منزل رغد حيث تقيم معها بهذه الفترة
حتى لا ترهق نفسها بأعمال المنزل ومستلزمات الصغيرة رغد
والاعتناء بها.

عادت الحياه لطبيعتها وعادت سما لأعمالها ودراساتها
التكميلية بينما كان روجان يعاونها، وبدأ بالتلميح لها عن
مشاعره و أظهر اهتمامه بها.

إلى أن حان يوم حفل زواج رايان وروجين والذي أقيم بإحدى قاعات الفنادق الكبرى بالإسكندرية و حضرته سما التي تألفت بفستانها الأسود و الذي أبرز جميع مفاتنها وأظهر بياض بشرتها الحليبية و لون عينيها الصافي كالعسل ، مما أثار روجان فقد شعر بغيرته عليها من كل تلك الأعين التي تلتهمها ، وقرر أن يحسم الأمر و تكون زوجته و على اسمه بأقرب وقت ممكن حتى يعلم الجميع أنها ملكيته الخاصة و لا يحق لغيره النظر لها ، فذهب و جلس بأحد المقاعد بجوارها موجهاً حديثه لها :

— ممكن أعرف إيه الفستان اللي انتي لابساه ده؟

سما و هي تضم حاجبيها متفاجأه من أسلوبه بالحوار :

— هو حضرتك بتكلمني؟!

— أيوة طبعا بكلمك فيه حد غيرنا على الطرايبزه ؟.

— لا أصل حضرتك أول مرة تكلمني كده ، و بعدين ماله

فستاني؟

— مخليكي زي القمر و الشباب كلها بتبص عليك.

توردت وجنتها خجلاً ولم تعرف كيف تجيبه؟

— لا و حياة أبوكي الغالي مش هينفع الكلام ده هنا خالص.

— دكتور روجان حضرتك...

قاطعها :

— حضرتك إيه بس... حضرتي بيحبك و بيमत فيكي و عاوز

يتجوزك... و و حياة ولاد إخوانك يا شيخه ماترفضي.

سما وقد تراقص قلبها و اقشعر جسدها فرحاً :
_ مش رافضة ، وتقدر تكلم بابا بس بشرط .
_ كل شروطك أنا موافق عليها .
_ عاوزه أكمل تعليمي و آخذ الدكتوراه و تدعمني و تكون
سندي و إوعى في يوم تخذلني .
_ هتلاقيني دايماً في ضهرك وقبل ماتحتاجيني هتلاقي إيدي
ممدوده ليكي ، هافرح بنجاحك ولوفي يوم قصرت معاكي
و كنت عقبة في طريق مستقبلك ، إمشي وسيبيني .
ردت بإعجاب و انبهار به :
_ إنت إنسان رائع ، وأنا واثقه إن حياتي معاك هتكون جميله .
_ أنا هاقوم أكلم والدك علشان مش هاقدر استنى أكثر
من كده .
وقف روجان وذهب ليحدث محمد و إبراهيم واتفق على موعد
لزيارتهم بمنزلهم بالغد بصحبة عائلته وعلى رأسها إيهاب ورغد
الليان دعما الزواج .
تم عقد القران ، و أقام روجان حفل زفاف لسما بكبرى
قاعات الأفراح .
ظهرت سما كأميرة من الأسرة المالكة ، ترفرف السعادة
عليها و تغلفها بهالة من الطمأنينة والسرور ، ينسج أملها في
الحياة القادمة و ثققتها في الله بأن أيام شقائها و عذاب روحها
ستنتهي ثوباً متلألأً يفوق جمال ذلك الثوب الأبيض الذي ترتديه
و كأنها ترتديه لأول مرة .

أما روجان فلا تستطيع الكلمات وصف سعادته هو الآخر
حين رآها تتهادي رويدا رويدا بفستانها الأبيض الفستان، و كاد
أن ينبت له جناحان حين لمح بعيونها لمعة و فرحة لم يراها بهما
من قبل.

مر الزفاف أنيقا، هادئا، محملا بكل معاني الحب و الفرح
من كلا العائلتين.



ومرت الأيام.....

استيقظت سما من نومها على بكاء صغيرها معا فقد رزقها
الله بهذين التوأم الرائعان اللذان يشبهان والدهما كثيرا بشعرة
الناعم و خميرية بشرته و عيونه السوداء الواسعة برموشها
الكثيفة.

وقفت حائرة بين سريريهما الهزازان، من تسكت قبل
الآخرمينهم فسلم بكاءة متواصل كأخته صوفيا، ولكنها لم
تحتار كثيرا فزوجها الحبيب سيعاونها، بعد أن أتى مسرعا من
غرفة مكتبة المتواجد بمنزلهم حتى لا تفيق من نومها ليفاجأ
بها قد استيقظت:

– حبيبي انتي صحيتي على صوتهم.. و الله جيت بسرعه
علشان متقلقيش.

– لا يا قلبي ولا يهمك، روح إنت كمل شغلك و أنا خلاص
صحيت.

روجان و هو يحمل صغيرته:

– حبيبة بابا هتسكت و تبطل عياط أول ما أنا وبس اللي أشيلها.

– يا سلام وسولي كمان حبيب مامته أهو سكت أول ما أنا شيلته.

اقترب منها حاملا ابنته بيد وذراعه الآخر ضامما لها من خلفها ، دافنا رأسه بعنقها يشم عبيرها الخلاب الذي دائما ما يسرق قلبه هامسا لها :

– ملاحظ إن سما بتغير من بنتها.

سما باعتراض:

– أنا توّ، توّ، إطلاقا.

– واضح جدا يا عمري إنك غيرانه ، إوعي تقاومي و على فكرة ده بيفرحني جدا ويعرفني إنك لسه بتحبيني ومش نسياني و سط مشاغللك.

سما و هي تخفي رأسها بين ذراعيه القويتين بعد أن حملت صغيرتها عنه ووضعتها بسريرها بجوار توأمها :

–تفتكر أنا أقدر انسى روعي، إنت روعي يا روجان، إنت اللي حييت قلبي، بعد ما كان مات.

روجان وهو يشدد من احتضانها :

– انتي الأمل اللي عشت أحلم بيه لحد ما ربنا كرمني بيه وهداني بأجمل هديه يوم مارزقني منك بأجمل طفلين وكأه بيعوضنا عن السنين اللي ضاعت و انتي مش معايا.

– أنا عاوزه أفاتحك في موضوع وخايفة ترفض.

- و أنا من امتى رفضتلك طلب.
- بس المرة دي مش طلب ده موضوع كبير.
- روجان بابتسامه:
- طيب ماتقولي و بلاش تدلعي عليا كده علشان انفذلك طلبك.
- أخذت نفسا طويلا ثم قالت:
- أنا عاوزه أترشح لمجلس الشعب، أنا تميت الخمسه و عشرين سنه و خلاص أقدر اترشح.
- روجان هو ينظر لعينيها يستشف منها جديه حديثها:
- معقولة بتتكلمي بجد!!
- بجد و الله، عاوزه أكون نائبه في البرلمان.
- و أنا موافق و من بكرة نبدأ الإجراءات.
- قفزت سما من شدة فرحها، فلم تكن تتوقع موافقته بهذه السهولة و اليسر.
- احتضنها و قبلها من رأسها:
- أنا قولتلك لو يوم وقفت في طريق نجاحك و مساعدتكيش عليه، امشي و سيبيني و أنا ما قدرش أبعد عنك و لا أعيش من غيرك و لا أنام يوم و انتي مش في حضني.
- حبيبي أنا عمري ما أقدر أبعد عنك، و لو إنت وافقت بس عشان ما أسيبكش فأنا مش عاوزه حاجه غير إنني أكون معاك.
- لا يا قلبي أنا وافقت علشان أنا و عدتك أحقق طموحاتك

ولإني شايف إنك جديرة بثقة الناس.



و مرت فترة الترشح و الدعاية الانتخابية و التي كانت عائلة روجان بأكملها عوناً لها فيها وكذلك عائلتها.

و اليوم و بعد إنتهاء المؤتمرات و انعقاد الندوات للمرشحين للبرلمان المصري و بعد أن انتهت فترة الصمت الانتخابي و بدأت لجان التصويت عملها من الصباح الباكر، و الآن في انتظار نتيجة التصويت.

اجتمعت عائلة رضوان بأكملها وعائلة إبراهيم الخولي ينتظرون نتيجة التصويت و التي نتج عنها فوز الأستاذة سما إبراهيم الخولي رمز الميزان بمقعد الفئات عن دائرة....



وهنا....

ارتفعت صيحات الفرحة و التهليل و احتضنها الجميع بحب و فخر.

أما زوجها و رفيق دربها وهدية الخالق لها فكانت سعادته لا يضاهيها شيء، وكانت هديته لها تلك السيارة الحديثه بلونها الأسود الراقى لكي تليق بسيادة النائبة.

وبأول جلسة لها تحت قبة البرلمان الموقر، و بعد انتخاب رئيس المجلس تقدمت النائبة بمشروع قانون جديد، ووفقت بكامل هيبتها تناقش القانون قائلة:

ـ السيد رئيس المجلس الموقر حضرات السيدات والسادة الأعضاء أأقدم لكم بمشروع قانون جديد ينص على الآتي:

١- تعديل المادة (٢٦٨) من القانون لتصبح...كل من هتك عرض إنسان بالقوة أو بالتهديد أو شرع في ذلك يعاقب بالسجن المشدد إلى عقوبة الإعدام شنقاً.

٢- تحويل محضر الاعتداء وجلسات الاستماع والحكم إلى جلسات سرية لا تتناولها الصحف أو وسائل الإعلام حفاظاً على السيرة الذاتية للمنتهك عرضة ومقاضاه من يتصرف خلاف ذلك.

٣- إعطاء الفتاة المنتهك عرضها عقد زواج شرعي ويلحقة عقد طلاق بائن لارجعة فيه ولا يتم إعطائها مجرد تقرير من مصلحة الطب الشرعي يقربه واقعة الاغتصاب حتى تستطيع ممارسة حياتها بشكل طبيعي ولا تخجل حين تسأل من المأذون الشرعي إن سبق لها الزواج أم لا.

أعلم سيادة الرئيس أنني أطلت على حضراتكم و طالبت بإقرار وتعديل مواد قانونية.

ولكن أملى بالله ومجلسنا الموقر أن يشرع إعطاء المغتصبة فرصة أخرى للحياه بدون إهانة وأناشد قلب كل أم وأب من حضراتكم بالموافقة على مشروع القانون.

فنحن من نشرع القوانين و بإمكاننا نغير الكثير منها شكراً لاتساع صدر سيادتكم.



الفهرس

٥.....	إهداء.....
٧.....	الفصل الأول.....
١٩.....	الفصل الثاني.....
٣٠.....	الفصل الثالث.....
٤١.....	الفصل الرابع.....
٥٤.....	الفصل الخامس.....
٦٧.....	الفصل السادس.....
٨٢.....	الفصل السابع.....
٩٤.....	الفصل الثامن.....
١٠٦.....	الفصل التاسع.....
١١٩.....	الفصل العاشر.....
١٣٠.....	الفصل الحادي عشر.....
١٤٢.....	الفصل الثاني عشر.....
١٥٧.....	الفصل الثالث عشر.....
١٦٧.....	الفصل الرابع عشر.....
١٨٠.....	الفصل الخامس عشر.....
١٩٢.....	الفصل السادس عشر والختام.....

